الفصل الثالث

النقد المصدري للتوراة بين ابن حزم وريتان

تمهيد

كان الاعتقاد السائد لفترة طويلة من الزمن، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة للتوراة، وأن كل سفر من أسفار العهد القديم قد ألفه الشخص الذي يُصدَّر السفر باسمه، فسفر يشوع قد ألفه يشوع، ومزامير داوود ألفها داوود -عليه السلام-، وكذلك الحال مع الثلاثة أسفار نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال التي تنسب لسليمان -عليه السلام-، وسفر أيوب ...الخ.

إلا أن جهود النقد المصدري قد هوت بتلك الاعتقادات السائدة، تلك الجهود التي استهلها ابن حزم في القرن الرابع الهجري، الحادي عشر الميلادي، ووصلت إلى عنفوانها مع دارسي العهد القديم، في القرن التاسع عشر الميلادي.

فبدراسة الأسفار الخمسة -مثلاً- وجد أن بعض نصوصها تشير -على نحوٍ واضح- إلى أن موسى ليس هو مؤلفها، مثل عبارة «وكان الكنعاني حينئذٍ في الأرض»(تكوين ١٢ : ٦)، ومن المعروف أن موسى لم يدخل إلى كنعان ومات قبل دخوله، والعبارة تبدو وكأنها تعود إلى راوٍ أتى بعد استقرار بني إسرائيل في كنعان، أي في فترة لاحقة على حكم الكنعانيين لفلسطين، ومن أمثال تلك العبارات كثير[١]. ومن ناحية أخرى فإن العديد من الشواهد تؤكد أن تلك الأسفار ليست من إنتاج مؤلف واحد، ولا عصر واحد، فإن الأحداث نفسها توصف أكثر من مرة أحيانًا، مع اختلاف واضح، كما أن القصة الواحدة تنطوي على تناقضات واضحة مما يؤكد أنها نتاج تقاليد متنوعة، وكتابات مختلفة[٢].

ويسعى النقد المصدري نحو تحليل نص العهد القديم، لتحديد المصادر،

---

(١) انظر:
G.W.ANDERSON , A CRITICAL INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT , P ٢٢.
وانظر : اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٦٦ – ٢٧٣ .

(٢) انظر :
STEVEN L.MCKENZIE , R.HAYNES , AN INTRODUCTION TO BIBLICAL CRITICISM AND THEIR APPLICATION : TO EACH ITS OWN MEANING , P ٣٥ .

التي استخدمت في صياغته، ويقوم بعزلها بعضها عن بعض، ويحاول تحديد مؤلف كل مصدر، وأسلوبه، وتاريخه، والهدف من تأليفه.

ويركز هذا النوع من النقد على المصادر المكتوبة، وليس على المصادر الشفهية؛ التي هي محور اهتمام النقد الشكلي.

ويبدأ النقد المصدري بمعناه الحديث بدراسة المصادر المكتوبة، التي ترد الإشارة إليها في العهد القديم نفسه، مثل: سفر حروب يهوا (العدد ٢١ : ١٤)، وسفر ياشر (يشوع ١٠ : ١٣)، و(صموئيل ٢ ١ : ١٨)، وعن طريق دراسة المقاطع المأخوذة منها، يحاول الوصول إلى طبيعة تلك المصادر الأولية، فيكون سفر حروب يهوا -على سبيل المثال- مجموعة من القصص،التي تروي الحروب التي خاضها بني إسرائيل، ويكون سفر ياشر -نظرًا للسمة الشعرية التي تميز مقاطعه- مجموعة من الأشعار، والأناشيد القديمة، ثم يركز الناقد المصدري اهتمامه على المصادر غير المعلنة، في العهد القديم[١].

وهذه المصادر بحسب نظرية المصادر الحديثة؛ هي: المصدر الإلوهيمي، واليهوي، والتثنوي، والكهنوتي[٢].

---

(١) انظر:
STEVEN L.MCKENZIE, STEPHEN R.HAYNES, TO EACH ITS OWN MEANING:AN INTRODUCTION TO BIBLICAL CRITICISM AND THEIR APPLICATION,JOHN KNOX PRESS,LOISVILLE,U.S.١٩٩٩.P ٣٥ – ٣٨.

(٢) ١ - **المصدر الإلوهيمي:** ويستخدم هذا المصدر اللفظ إلوهيم، للدلالة على الألوهية، في مقابل اللفظ «يهوه» المفضل عند اليهوي، ويحدده بعض النقاد بالقرن التاسع ق.م، بينما يؤرخ له من يعتقد، في تأخره عن اليهوي بحوالي ٧٥٠ ق.م. ويعود المصدر الإلوهيمي إلى مملكة إسرائيل الشمالية، التي انفصلت عن المملكة الموحدة، عقب وفاة سليمان -عليه السلام-.

٢ - **المصدر اليهوي:** يستخدم هذا المصدر اللفظ «يهوا» للدلالة على الإلوهية، ويتضح من مادته تأثره بالأعمال الأدبية القديمة في مصر وبابل، ويعود إلى القرن التاسع أو العاشر ق.م. ومن أهم ما يميز هذا المصدر التركيز على السمة القومية، والعنصرية، وعلاقة الرب الخاصة بإسرائيل.

٣ - **المصدر الكهنوتي:** أطلق عليه هذا الاسم نظرًا لأنه من عمل كهنة الهيكل الذين عكفوا على تحرير المصدرين الإلوهيمي واليهوي، فزادوا عليهما إضافات جديدة مطولة من مصادر

المبحث الأول: مصادر دراسة العهد القديم لدى ابن حزم وريينان:

صرح ابن حزم باطلاعه على أكثر من نسخة من التوراة[1]، ويتأكد هذا من خلال مقارنته بين التوراة السبعينية (اليونانية)، والتوراة العبرية، وحصر عدد التناقضات بينهما في «ثمانية عشر فصلاً يتكاذب فيها نص توراة اليهود مع نص تلك الأخبار بأعيانها عند النصارى»[2]، فمن الواضح أنه «كان يعلم بأمر التوراة السبعينية، واللاتينية (الفولجاتا)، وأكد على أنه يوجد على الأقل ثلاث نسخ مختلفة من الكتاب المقدس، تختلف عن بعضها البعض؛ وهي اليهودية (نص عزرا) والمسيحية السبعينية، والسامرية»[3]. وهو يُصرح بأنه لم يتمكن من الاطلاع على النسخة السامرية؛ لأنهم «لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أيضًا»[4].

ويستنبط البعض عدم إلمامه بالعبرية من خلال إشاراته إلى رجوعه في الأمور التي تشكل عليه إلى «بعض أهل البصر بالعبرانية».

ومن الصعب تحديد التراجم التي اعتمد عليها ابن حزم، خاصةً «وأن ابن حزم لم يكن يقتبس اقتباسات حرفية، و لكنه كان يسجل مضمون الترجمة»[5].

زعموا أنها كانت موجودة، في الهيكل المدمر، ويعود هذا المصدر إلى فترة السبي (٥٨٦ – ٥٣٨ ق.م)، ويتفق النقاد على نسبة هذا المصدر الكهنوتي إلى عزرا، ومن أهم ما يميز مادة هذا المصدر المنتشرة في التوراة الحالية تركيزها الواضح على العبادة والطقوس والشعائر.

٤ – **المصدر التثنوي**: هو أساس سفر التثنية، والمقصود بالتثنية؛ الشريعة التي نزلت على موسى في مؤاب، كتكملة لوحي سيناء، ويعتمد المصدر التثنوي على كتاب الشريعة الذي عثر عليه في الهيكل ٦٢٢ ق.م. و أول ما يميز هذا المصدر توفيقه بين المصدرين الإلوهيمي واليهوي، أي بين تراث الشمال وتراث الجنوب، أي: تراث إسرائيل ويهودا بعد انشقاق المملكة.

انظر: أ.د محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام باليهودية، رؤية إسلامية في مصادر التوراة الحالية، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م. وانظر أيضًا: ريتشارد إليوت فريدمان، من كتب التوراة؟، ترجمة: عمرو زكريا، مراجعة وتقديم: أيمن حامد، دار البيان، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٥٤ – ٥٧، ١١٣ – ١١٥، ١٢٤، ١٥٩ – ١٦٧ .

(١) انظر: ابن حزم، الفصل، ١ / ٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢١ .

(٣) Hava lazarous,medival islam...,p ١٢٣.

(٤)ابن حزم، الفصل، ١/ ٢٠١ .

(٥) د.محمد خليفة حسن، ود.أحمد هويدي، اتجاهات نقد العهد القديم، ص ٤٨ .

إلا أن هناك عدة شواهد تشير إلى أنه اعتمد-في عدة مواضع- على ترجمة سعديا الفيومي، منها:

١ – رواية أنهار الجنة (تكوين ٢ : ١٠ – ١٤).

٢ – رواية لعنة كنعان (تكوين ٩ :٢٤ – ٢٦)[١].

إلا أن ابن حزم لم يعتمد في معرض نقده للفقرات التوراتية التي تنطوي على نزعة أنثروبومورفية، على ترجمة سعديا، حيث أن هذا الأخير قد حاول جاهدًا التخلص منها في ترجمته التفسيرية[٢].

وقد توافر في الأندلس في تلك الأثناء ترجمة أخرى، ربما يكون ابن حزم قد اعتمد عليها؛ وهي ترجمة يافث بن علي اللاوي[٣].

وتشير حوا لازاروز إلى أن ابن حزم-يبدو- أنه قد اطلع على نسخة الفولجاتا، وهو ما يوحي به تعليقه على الفقرات (تكوين ٤٩ : ١٠)، كما أنه يشير إلى التسمية اللاتينية لبعض الأسفار مثل سفر التكرار[٤].

أما بالنسبة للمصادر الأخرى التي استعان بها ابن حزم في نقده، فقد كان أحدها التلمود،حيث أشار إلى كتاب «سادر ناشيم» المتعلق بأحكام الحيض، وهو أحد كتب التلمود[٥].

وقد أتاح اطِّلاع ابن حزم على التلمود: «التحدث عن تطور الديانة اليهودية، والصلوات التي استحدثها الأحبار الربانيون...بدلًا عن قرابين المعبد، والتي تختلف عن الشريعة التي تلقاها موسى على جبل سيناء»[٦]، وكان ابن حزم يُطلق عليها أحيانًا «كتبهم المعظمة».

---

(١) انظر :

ibid ,p ٢٨ Hava lazarous,medival islam...,

(٢) انظر: د.عبد الرازق قنديل، الأثر الإسلامي في الفكر الديني اليهودي، ص ١٨٨ .

(٣) انظر: د.محمد خليفة حسن، ود.أحمد هويدي، اتجاهات...، ص ٢٧ .

(٤) انظر:

Hava lazarous,medieval Islam...,p١٢٣.

(٥) انظر: ابن حزم، الفصل...،١/ ٣٢٠ – ٣٢٤ .

(٦) ibid,p١٣٧.

ويبدو أنه اطلع أيضًا على الهاجادا، خاصة فيما يتعلق بالروايات المتعلقة بالنبي سليمان -عليه السلام-.

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها ابن حزم؛ كان كتاب «تاريخ اليهود القديم» لمؤلفه يوسفيوس فلافيوس[1].

فهو يخبرنا عن اطلاعه على هذا الكتاب قائلاً: «قرأت في تاريخ لهم جمعه رجل هاروني كان قديمًا فيهم، ومن كبارهم وأئمتهم، وممن عصبت به ثلث بلدهم، وثلث حروبهم، وثلث جيوشهم أيام حرب طيطاوس وخراب البيت...وكان قد أدرك أمر المسيح -عليه السلام-، واسمه يوسف بن هارون ...»[2].

واللافت أنه لم يُعرف أبدًا أن لهذا الكتاب ترجمة عربية؛ ولهذا فإنه من المُرجَّح أن ابن حزم اطَّلع عليه في ترجمته اللاتينية خاصةً، وأن هناك شواهد عدة -في مؤلفات ابن حزم- تؤكد معرفة ابن حزم للاتينية، فقد كانت هي اللغة السائدة في أسبانيا قبل الفتح الإسلامي، والذي أحلَّ اللغة العربية محل اللاتينية، وأصبح استخدامها مقصورًا على النزر اليسير من بعض المثقفين، ورجال الدين[3].

أما رينان فقد أشار -بشيء من الأسف- إلى أن الاعتماد على العهد القديم كمصدر تاريخي، دفعه إليه «الافتقار إلى المقومات الأساسية، التي يعتمد عليها الناقد

---

(١) يوسفيوس فلافيوس (٣٨ - ١٠٠م) Josephus Flavius: مؤرخ يهودي، وأحد ممثلي الأدب اليهودي - الهلنيستي. ولد في أسرة كهنوتية أرستقراطية درس الشريعة اليهودية، وانضم إلى الفريسين، وهو في سن التاسعة عشرة، من أهم أعماله؛ كتاب «حرب اليهود»، والذي كتبه في نسختين إحداهما بالآرامية وهي مفقودة، والأخرى يونانية. وكتب كتابه الضخم «تاريخ اليهود القديم» عام ٩٣م، وهو كتاب يسرد تاريخ اليهود من بدء الخليقة، حتى التمرد اليهودي، يدافع فيه عن اليهود وشرائعهم، وتقاليدهم بالبراهين العقلية، وقد ترجمت أعمال يوسفيوس إلى اللاتينية منذ وقت مبكر. انظر:

ENCYCLOPEDIA JUDAICA,VOL.١٠,P٢٥١.

(٢) انظر: ابن حزم، الفصل...،١/ ١٧٩ .

(٣) انظر: ابن حزم، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية، ص ١٥، ٥٢. وانظر: المُحلى، تح: أحمد محمد شاكر، دار التراث - القاهرة، د.ت، ص٤٤. وكذا: يعقوب الفلاحي، ابن حزم لغويًّا، رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة بإشراف: د.عبد الصبور شاهين، ١٩٨٠م، ص١٥٢،١٥٣.

في عمله؛ وهي المسكوكات والنقوش، فإننا لا نمتلك إلا مخطوطتين كبيرتين تعودان إلى ما قبل السبي، وصحيحٌ أن علم المصريات والآشوريات يوضح بعض جوانب الوثائق العبرية، إلا أنه لا يضيف إلى النصوص التاريخية في الكتاب المقدس إلا القليل جدًّا من المعلومات المباشرة».

وبالنسبة لتاريخ يوسفيوس فإن رينان يعتبره ليس بحجة، ولا يعتمد عليه فيما يتعلق بالمراحل التاريخية القديمة، أما بالنسبة للفترة الأخمينية، والفترة الهيرودية (نسبة إلى هيردوس)، وثورات القرن الأول؛ فإن كتابات يوسفيوس تعد ذات قيمة كبيرة جدًّا باعتبارها وثيقة أصلية مزامنة للأحداث.

وقد استفاد رينان من نتائج الكشوف الأركيولوجية كثيرًا، إلا أن قلة الكشوف - في عصره- جعلته يعتمد بشكل أكبر على العهد القديم نفسه[1].

المبحث الثاني: ملامح النقد المصدري عند ابن حزم:

على الرغم من أن مصطلح النقد المصدري مصطلح حديث، برز على نحو واضح مع المدرسة الألمانية في النقد في القرن التاسع عشر خاصة مع فلهاوزن، إلا أن بذور النقد المصدري للعهد القديم يمكن أن نتلمس ملامحها الأولى مع ابن حزم الأندلسي في سعيه نحو التدليل على بشرية مصدر التوراة وضياع الأصل الإلهي، وقد اتبع في سبيل ذلك الخطوات المنهجية التالية:

١ - التدليل على أن موسى -عليه السلام- ليس هو مؤلف التوراة:

ويمكننا أن نقول أن هذه الخطوة هي خطوة سلبية أولية للوصول إلى المؤلف الحقيقي للتوراة، حاول فيها ابن حزم التدليل على أن التوراة التي أوحى الله بها إلى موسى ليست هي التوراة التي يتعبد بها اليهود، وأنها ليست من تأليف موسى، وذلك من خلال نصوص التوراة نفسها.

حيث يشير ابن حزم إلى أن رواية موت موسى -عليه السلام- التي ترد في سفر

---

(١) انظر:

ERNEST RENAN,LES ORIGINES DE LA BIBLE,HISTOIRE ET LEGEND,١lpp٧ - ٨.

التثنية ٣٤: ٥ – ٨ «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب، مقابل بيت فاغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه، ولا ذهبت نضارته» – « دليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة، وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهله، أو تعمد بكفره، وأنها غير منزَّلة من عند الله تعالى، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلًا على موسى في حياته، فكان يكون أخبارًا عنهما، لم يكن بمساق ما قد كان، وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك»[١].

كما أن عبارة «ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» تؤكد أنه «تاريخ أُلِّف بعد دهر طويل ولا بد»[٢]، ويضيف اسبينوزا لحجة ابن حزم، فيقول: «فإن هذه الرواية لا تقص فقط موت موسى، ودفنه، وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين، بل تروي أيضًا أنه فاق جميع الأنبياء، إذا قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده، هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يُدلي بها موسى نفسه، أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة»[٣].

٢ – العوامل التي أدت إلى ضياع التوراة، وحالت دون سلامة نقلها، وتواترها:

حاول ابن حزم تقصِّي الظروف التي أحاطت بنقل التوراة، والتي تؤكد ضياع التوراة الأصلية، وأهم تلك العوامل، هي:

أ – اقتصار نسخ التوراة على نسخة وحيدة بيد الكاهن الأكبر في تابوت العهد، كما تشير إلى ذلك الروايات في التثنية ١٠ : ١ – ٢، ٣١ :٩ ، يقرؤها الكاهن على بني إسرائيل عند اجتماعهم فقط، وهم لا يجتمعون إلا ثلاث مرات فقط في العام[٤]، وهو الأمر الذي سهَّل تعرضها للتحريف والتبديل «فكل كتاب أو شريعة كانا مقصورين على رجال من أهلهما، وكانا محظورين على من سواهما، فالتبديل والتحريف مضمون فيهما»[٥].

---

(١) ابن حزم، الفصل، ١/ ٢٨٥ .
(٢) السابق، نفس الصفحة.
(٣) اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٦٩ .
(٤) ابن حزم، الفصل، ١/ ٣٠٠.
(٥) انظر: السابق، ١/ ١٩٦ .

بالإضافة إلى أن بعض الكهنة الهارونيين لم يسلموا من الوقوع في الكفر وعبادة الأوثان، مثل: ابني الكاهن عالي الهاروني[1] (صموئيل الأول ٢ : ٢٢)، «ومن هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به»[2].

ب – سيطرة الكفر وعبادة الأوثان لفترات طويلة من تاريخ بني إسرائيل:

تتبع ابن حزم حالة بني إسرائيل الدينية من حيث الإيمان والكفر، وذلك للفترة الممتدة من بعد يشوع، وحتى سقوط المملكتين إسرائيل ويهودا في يد آشور و بابل، وأثر ذلك على ضياع التوراة، وانقطاع تواترها.

– عصر القضاة:

وهي الحقبة التي تلت وفاة يشوع، وتقع تقريبًا في الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق.م، وهو عصر سادت فيه الفوضى، وارتد فيه بنو إسرائيل مرارًا، واتجهوا لعبادة آلهة الكنعانيين المحلية [3]، وحكم بني إسرائيل في تلك الفترة القضاة، وهم زعماء قبليون، برزوا أزمان الشدائد لقيادة قومهم في الحرب، ضد إغارات الشعوب المجاورة[4].

وقد تتبع ابن حزم أسماء القضاة الذين تورطوا في الكفر وعبادة الأوثان[5]، وخلص إلى أنه من المستحيل ألا تضيع التوراة في مجتمع تعاقب عليه الكفر لفترات طويلة مثلما تشير إليه أحداث سفر القضاة: «فأي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام، في مثلها فقط، ليس على دينهم، واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم»[6].

---

(١) انظر: السابق، ٣٠٠ – ٣٠١ .

(٢) السابق، ص ٣٠١ .

(٣) انظر: القضاة ٢ : ١١ – ١٣ «وفعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعليم، وتركوا الرب إله آبائهم، الذي أخرجهم من أرض مصر، وساروا وراء آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها وأغاظوا الرب، تركوا الرب وعبدوا البعل و العشتروت».

(٤) انظر : محمد عزة دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨م، ص ١٥١ – ١٦٢ . وانظر أيضًا: د.مصطفى كمال عبد العليم، ود.سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٥م. ص ٧١، ٧٢ .

(٥) انظر: ابن حزم، الفصل، ١/ ٢٨٨ – ٢٩٠ .

(٦) السابق، ص ٢٩٠ .

- الحالة الدينية للمملكتين يهودا وإسرائيل:

ثم قام ابن حزم باستقراء تاريخ المملكة الجنوبية، عبر أسفار العهد القديم، ووجد أنها استمرت تقريبًا أربعمائة عام، بعد وفاة سليمان -عليه السلام-، وحتى سقوطها على يد البابليين، وأنه تولى طوال تلك الفترة تسعة عشر ملكًا من نسل داوود -عليه السلام-، وكانوا كلهم كفارًا معلنين عبادة الأوثان، ماعدا خمسة فقط كانوا مؤمنين، وقد سماهم ابن حزم ملكًا ملكًا[1].

أما مملكة إسرائيل الشمالية، فقد فاقت شقيقتها يهوذا، حيث أعلن يربعام عقب انفصاله بالمملكة الشمالية عن رحبعام بن سليمان، عبادة الأوثان وصنع عجلين من الذهب ليعبدهما بنو إسرائيل (الملوك الأول ١٢: ٢٨ – ٢٩)، وقد ظل ملوك إسرائيل مدة مائتين وإحدى وسبعين عامًا تقريبًا «لم يظهر فيهم نبي إلا مخاف، ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم و لا أثر، ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً، مضى على ذلك جميع عامتهم، وجميع ملوكهم، وهم عشرون ملكًا»[2].

ويخلص ابن حزم إلى أن بلدًا تعلن فيه عبادة الأوثان، وتبنى هياكلها، ويُقتل من وجد فيه من الأنبياء، من المحال أن يبقى فيه كتاب الله سالمًا[3].

ونجد اسبينوزا بعد قرون عدة يؤكد ما خلص إليه ابن حزم، فيقول :«لا يكون الكتاب مقدسًا، ولا تكون نصوصه إلهية، إلا بقدر ما يحث الناس على تقوى الله، فإن تخلوا كليةً عن هذه التقوى، كما تخلى عنها اليهود من قبل أصبح حبرًا على ورق، وضاعت قدسيته كليةً، وأصبح معرضًا للتحريف، فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا كانت مخطوطات موسى الأصلية قد ضاعت، وإذا كانت الأسفار التي بين أيدينا قد لقيت المصير الذي ذكرناه، بعد أن ضاع تمامًا الأثر الأصلي بحق الميثاق الإلهي، وهو أقدس الآثار جميعًا»[4].

---

(١) انظر: ابن حزم، الفصل، ١/ ٢٩١ – ٢٩٤ .

(٢) انظر: السابق، ١/ ٢٩٤ – ٢٩٧. وانظر: (الملوك الأول ٥ : ٣٠، ١٦ : ٢، ٢٦، ٣١)، وكذلك (الملوك الثاني ١٣ : ٢، ١١- ١٤، ٢٤). وانظر : د.مصطفى كمال عبد العليم، ود.سيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص ٩٦ – ١٠١.

(٣) انظر: السابق، ص ٢٩٣ .

(٤) اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

ج – الغارات المتتالية على بيت المقدس:

تعرضت مدينة بيت المقدس لعدة غارات خارجية متكررة، إحدى تلك الغارات كان في عهد الملك رحبعام بن سليمان، حيث يذكر سفر الملوك أن شيشنق[1] ملك مصر أغار على أورشليم، وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك[2].

كما أغار يهوآش ملك إسرائيل (٨٠١ – ٧٨٦ ق.م) مرتين على القدس، في عهد أمصياهو (٨٠٠ – ٧٨٣ ق.م)، واستولى على مقتنيات القصر والمعبد[3].

ثم كانت الضربة القاضية على يد بختنصر ملك بابل، الذي أحرق أورشليم عقب سقوطها في يده (٥٨٨ ق.م)، وأحرق القصر الملكي، ودمر الهيكل، واختفى تابوت العهد، وسبى عدد كبير من سكان المدينة إلى بابل[4].

وكانت هذه جملة العوامل التي أشار ابن حزم إلى أنها أدت إلى ضياع التوراة.

٣ – تحديد المؤلف الحقيقي للتوراة:

حاول ابن حزم بعد تدليله على ضياع التوراة الأصلية، ونفي نسبة توراة اليهود إلى موسى، تحديد مؤلف التوراة.

وحدد الدائرة الكهنوتية باعتبارها الدائرة التي خرج منها هذا المؤلف، وذلك نظرًا لأنها الدائرة الأكثر ارتباطًا بالنصوص الدينية، بل والمحتكرة لها بشكل تام.

وكان من الطبيعي أن يرشح ابن حزم عزرا الكاتب لهذا الدور، نظرًا للأهمية

---

(١) شيشنق: اسم أطلق على كثير من أمراء وملوك العصر الليبي في مصر، وآخر ثلاثة ملوك في تلك الحقبة كانوا ضعافًا، جروا المملكة إلى الفوضى، وشاشانق الأول هو الوحيد الذي له مجده التاريخي (٩٥٠ – ٩٢٩ ق.م) وهو حفيد شيشنق الأكبر رئيس قبيلة المشوش فأسس الأسرة الثانية والعشرين، وأعاد النظام، وبذا وضع خاتمه على انتصار الهيئة الحربية، قاد جيوشه إلى فلسطين (ملوك أول ١٤ : ٢٥ – ٢٦)، وبعد هذه الغارة التي كانت لمجرد النهب أمر شاشانق بإقامة مدخل من الحجر الرملي أمام معبد الكرنك حيث لا تزال توجد قائمة ممزقة بالمدن التي في إدوم ويهوذا وإسرائيل. انظر: جورج بزنور وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، مكتبة الأسرة ١٩٩٦م، ص ١٩٧.

(٢) ابن حزم، الفصل، ١/ ٢٩٨ .وانظر : د.محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ٢/ ٨٥١ .

(٣) السابق، نفس الصفحة، وانظر : المرجع السابق ٢/ ٨٦٣ .

(٤) السابق، نفس الصفحة. وانظر: ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة؟، ص ٨٨ .

الكبيرة التي يعطيها العهد القديم لهذه الشخصية (عزرا ٧ : ١٠)؛ فهي الشخصية الأكثر شهرة في العهد القديم بعد موسى -عليه السلام-، يقول فريدمان: «هناك شخصان فقط في العهد القديم عرف عنهما وضعهما للشرائع، وهما موسى وعزرا»[١].

وقد اتفق مع ابن حزم حول هذه النتيجة من دارسي العهد القديم، اسبينوزا، الذي صرح قائلاً: نحن لا نجد شخصًا آخر سوى عزرا يمكن الاشتباه في أن يكون مؤلف هذه الأسفار»[٢].

أيضًا ريماروس Reimarus الألماني[٣]، اعتبر عزرا مؤلف الأسفار الخمسة في شكلها الحالي، وأشار إلى أن عزرا استخدم -في ذلك- وثائق قديمة كانت متاحة لديه[٤].

ويؤكد ابن حزم على أن عزرا لم يكتب التوراة، إلا بعد سبعين عامًا من خراب بيت المقدس، بل وبعد أربعين عامًا من رجوعهم من السبي، ومنذ ذلك الوقت فقط بدأت التوراة تنتشر انتشارًا ضعيفًا[٥].

كما نجد أن ابن حزم يشير في غير موضع إلى تجاور روايتان متناقضتان في نفس

---

(١) ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة؟، ص ١٢٦ . وقد أشارت المأثورات العبرية إلى هذا الدور لعزرا، خاصة في بعض كتب الأبوكريفا، مثل: أبوكاليبس عزرا . انظر: المرجع نفسه،١٩٢. وانظر: د. سهيل زكار، المحذوف من التوراة كاملاً، سفر إسيدراس الأول ٨ : ٣ -٦، ٩ :٣٩ -٤٢ «..وهكذا وضع إيسدراس الكاهن الأعظم شريعة إسرائيل أمام الحشد من الرجال والنساء وجميع الكهنة ليسمعوا نصوص الشريعة».

(٢) اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٧٨ .

(٣) هرمان صمويل ريماروس: فيلسوف ألماني، ولد في هامبورج عام ١٦٩٤م، كان من أتباع المذهب التأليهي، عمل أستاذًا للدراسات العبرية واللغات الشرقية في هامبورج. من أهم أعماله: حقيقة الديانة الطبيعية ١٧٥٤، وكتاب مقولة العقل ١٧٥٦. كما اشتهر بمعالجته لحياة يسوع، والذي أكد فيه على الطبيعة البشرية ليسوع وأنه إنسان محض، أحاطت به هالات مسيحانية، وأنه بعد وفاته سُرِق جسده وأخفي عن طريق حواريه لادعاء قيامته . انظر:

THE NEW ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA , ١٥TH ED, ١٩٨٥ .١٦\٣٤٠.

(٤) انظر :

C.HOUTMAN ,REMEMBRING ALL THE WAY , AN ARTICLE TITLED WITH : EZRA AND THE LAW" , BRILL ,LEIDEN ,١٩٨١ , P٩٧ .

(٥) ابن حزم، الفصل،١ / ٢٩٨ .

السياق مما يعد إرهاصًا بتعدد المصادر وذلك مثل:

الرواية التي تتحدث عن هابيل، باعتباره راعٍيا للغنم (تكوين ٤ : ٢)، ثم يرد في نفس الإصحاح في فقرة تالية (٢٠)، أن لامك -أحد أحفاد قايين- أنجب أول من سكن الخيام ورعى الماشية[١].

وفي نص مباركة يعقوب لبنيه على فراش الموت يشير ابن حزم إلى تناقض أول النص مع آخره، تكوين ٤٩ : ٣- ٥ : «رؤبين أنت بكري، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة، وفضل العز، فائرًا كالماء لا تتفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك، حينئذ دنسته، على فراشي صعد»، فالعبارات الأولى عبارات مديح، تتناقض تمامًا مع العبارات الأخيرة التي يعاتبه فيها والده على الفاحشة التي ارتكبها[٢].

وأشار ابن حزم إلى تضارب الروايات حول مكان ولادة بنيامين بن يعقوب، فالرواية الواردة في (تكوين ٣٥ : ٢٣ – ٢٦) تجعل بنيامين ضمن أولاد يعقوب الذين وُلدوا له بفدان آرام في العراق، وهو ما يتناقض مع رواية سابقة تذكر أن بنيامين لم يولد ليعقوب إلا في أفراتة «بقرب بيت لحم على أربعة أميال من بيت المقدس بعد رحيله من (فدان آرام) بدهر ، والله تعالى لا يتعمد الكذب، ولا ينسى هذا النسيان»[٣].

كما لاحظ ابن حزم وجود تناقض في رواية وصف طبيعة المن، فالرواية في (الخروج ١٦ : ٣١) تصف المن بأوصاف تختلف عن وصف الرواية الواردة في (العدد ١١ : ٧ – ١٠) له، حيث تتناقض الروايتان حول تحديد صفة ولون وطعم المن[٤].

وأيضًا وجود روايتين حول زوجة موسى: فبينما تشير الرواية الواردة في سفر الخروج ٢ : ١٦ – ٢٢، إلى أن زوجة موسى مديانية، فإن الرواية الواردة في سفر العدد ١٢ : ١، تذكر أنها كوشية «فأحد هذين القولين يكذب الآخر»[٥].

---

(١) ابن حزم، الفصل، ١ / ٢٠٨ .
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٥ .
(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٥ .
(٤) ابن حزم، الفصل، ١ / ٢٥٤ – ٢٥٥ .
(٥) السابق، ص ٢٨٠ .

• **سفر يشوع:**

رفض ابن حزم أن يكون يشوع هو مؤلف السفر المنسوب إليه، وحاول التدليل على هذه الفرضية، من خلال دراسته النقدية للسفر، وكانت حجة ابن حزم الرئيسية: أن السفر يشير إلى أحداث لاحقة على عصر يشوع، ولم تأت في صيغة الإنباء عن المستقبل، بل في صيغة الإخبار عن الماضي، ويشير إلى نص يرد في التوراة الحالية في يشوع ١٠ : ١، ويختلف النص الذي اعتمد عليه ابن حزم قليلاً عن النص الحالي.

فالنص الذي اعتمد عليه ابن حزم: «فلما انتهى ذلك إلى دوسراق ملك يبوس التي بنى فيها سليمان بيت المقدس»[١]، أما النص الحالي؛ فهو «فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع ...».

ويبدو أن ابن حزم قد اعتمد على الترجمة اليونانية، أو ترجمة عربية عن اليونانية، حيث أن كلمة «أورشليم» ترادف في اليونانية، «المكان المقدس الذي بناه سليمان»[٢].

أما كلمة يبوس فقد كانت تطلق على المدينة قديمًا، قبل دخول بني إسرائيل إليها، وظلت تسمى بهذا الاسم في عصر يشوع (قضاة ١٩ :٧ – ١٠)، حتى غيَّر هذا الاسم الملك داوود، وسماها مدينة داوود (صموئيل الثاني ٥ : ٩)[٣].

ومع هذا تظل حجة ابن حزم لها وجهاتها، نظرًا لأن الاسم الشائع الذي كان يطلق على المدينة زمن يشوع كان يبوس.

يقول ابن حزم: «من المحال الممتنع أن يخبر يشوع أن سليمان بنى بيت المقدس، ويوشع قبل سليمان بنحو ستمائة سنة، ولم يأت هذا النص في كتاب يشوع المذكور على سبيل الإنذار أصلاً، إنما مساقه بلا خلاف منهم مساق الإخبار عما قد مضى[٤].

---

(١) ابن حزم، الفصل، ١/ ٣٠٦ .

(٢) انظر :

JERUSALEM THE HOLY ,AYER PUBLISHING ,NEW YORK ,١٩٧٧ ,P١٦. SHERMAN Wallace.

(٣) انظر : د. محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، ص ٧٣٧ – ٧٣٨ . وانظر: د.حسن ظاظا، القدس مدينة الله؟ أم مدينة داوود؟، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٠م، ص٧ – ١١ .

(٤) ابن حزم، الفصل، ١/ ٣٠٦ .

وقد استخدم اسبينوزا المضمون العام لحجة ابن حزم، للتأكيد على أن يشوع ليس هو مؤلف سفره، حيث يشير إلى أن السفر يشير إلى أحداث وقعت بعد وفاة يشوع، ويستخدم عبارات تدل على ذلك مثل: «إلى هذا اليوم» يشوع ١٦ : ١٠ «فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين في جازر، فسكن الكنعانيون في وسط إفرايم إلى هذا اليوم» «وكانوا عبيدًا تحت الجزية»، مما يؤكد أنها كتبت بعد يشوع بزمن طويل[١].

المبحث الثالث: نقد رينان المصدري للتوراة:

أصبحت قضية نفي تأليف موسى -عليه السلام-، للأسفار الخمسة في زمن رينان، بمثابة مسلمة نقدية، يقول رينان: «إن اعتبار موسى مؤلف لهذه الأسفار، هي الفكرة الأكثر تعسفًا و بطلانًا، والأشد تناقضًا مع النصوص ..فمن الصعب جدًا، أن يُنسب إلى موسى -عليه السلام-، روايته لمعركة يشوع»[٢].

وقد حاول رينان وضع تصور لمراحل تأليف التوراة عبر القرون، ويمكننا تلخيص هذا التصور على النحو التالي:

أ- المصادر الأولية:

كان لدى مملكة إسرائيل الموحدة تراث شفهي طويل يتعلق بعضه بتراث الآباء، ويتعلق البعض الآخر بالملاحم القديمة التي صاحبت دخول كنعان، وبعد انقسام المملكة، بدأت المملكة الشمالية، تدوين هذا التراث الشفهي، خوفًا من ضياعه، يقول رينان: «استعادت الروح الإسرائيلية -التي قمعها سليمان- تفوقها بمرونة فائقة، وأصبح الأنبياء الذين هاجموا أعمال سليمان في القدس، وقادوا انشقاق القبائل الشمالية، قادة المملكة الجديدة في الشمال، وقاموا بإذكاء التقاليد الدينية القديمة، ووصلوها ببعض في إطار نسق محدد، وبهذا بدأت الذكريات القديمة تنال اهتمامهم، وبدءوا يدركون حاجتهم الحقيقية لكتابة هذه الروايات، وتنسيقها وفق نسق واضح»[٣].

---

(١) اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٢) RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE , ١\٩.

(٣) RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE..., ٢\٤٤١ .

وقد قسم رينان المرويات الشفهية التي تم تدوينها، في المملكة الشمالية، إلى:

١ – مرويات الآباء ذات الأصول البابلية والحرانية.

٢ – مرويات الملاحم البطولية.

١ – مرويات الآباء الأسطورية:

حيث قام مؤلف ما بتجميع التراث الشفهي الطويل المتعلق بالآباء، والذي كان بعضه يعود إلى الأساطير البابلية القديمة، مثل أسطورة الطوفان وغيرها، ودمجها مع قصص الآباء العبريين القدامى.

وجمع الخيال الإسرائيلي (الشمالي) المُغرم بأريج الحياة الرعوية، حول هذه الأسماء كل ما يجعلها ساحرة وشاعرية، وكونت هذه المرويات بعد كتابتها، ما أسماه رينان «بمُؤلَّف أساطير الآباء»، الذي يمثل الجزء الأكبر من سفر التكوين[١].

هذا المُؤلَّف لم يكن يحمل سمة كتاب مقدس، على الرغم من أن فكرة تفضيل يهوا لإسرائيل كانت مطروحة في هذه الروايات، ورغم ذلك فلم يكن هناك أي نزعة دينية محددة.

وهذا المؤلف كتاب إسرائيلي يعود في أصله إلى مملكة الشمال؛ ولذا فهو يكرس في أفكاره لأهداف القبائل الشمالية، فيضفي صفة القداسة على الأماكن المقدسة في مملكة إسرائيل، وينسب كل ما هو جميل وساحر إلى أسلاف القبائل العشرة، وغض الطرف عن ذكر مملكة يهودا، بل وحاول النيل من رموزها، بتشويه صورة أسلاف هذه المملكة.

ويذكر رينان أن هذا المؤلف يعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد[٢].

٢ – المرويات الملحمية البطولية:

يشير رينان إلى أن الشيء التأريخي الوحيد الذي كان متاحًا للشعب الإسرائيلي الأمي قبل ظهور الكتابة، كانت «الأناشيد الشعبية»، التي صاحبت الأحداث الهامة

---

(١) RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE , ١\١٦ .

ويذكر رينان أن هذا المؤلف يوازي المصدر الإلوهيمي الثاني لدى النقاد الألمان .

(٢) RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE..., ١\٤٤٣ – ٤٤٨ .

للأمة، حيث تلاشت تفاصيل الأحداث من الذاكرة على مر القرون، ولم يتبق إلا تلك الأناشيد، والتي تضمنت أحيانًا بيانات كافية تسمح بإعادة بناء رواية الحدث، وأحيانًا أخرى لا تكون كافية، وفي هذه الحالة يقوم خيال العصور اللاحقة بإكمال هذا النقص.

ويذكر رينان أن كتاب «الأغاني» العربي للأصفهاني، ينتمي لهذا النوع من التقميشات، حيث يحتوي على الأغاني التي حفظتها الرواية الشفهية لزمن طويل، والتي أحاطتها النصوص النثرية التي تشرحها، والأمر المُعتبر هنا، أن المقطع الشعري، سابق على شرحه، وغالبًا ما يكون الشرح التعليقي خاطئ.

وأقدم الأناشيد القومية لبني إسرائيل تعود إلى الفترة التي تحرر فيها بنو إسرائيل من مصر، وتجوالهم في صحراء سيناء، ومن هذه الأناشيد نشيد البئر، ونشيد سقوط حشبون، ومعركة جبعون، الذي لم يصل إلينا منه إلا بيت شعري واحد.

ثم نشيد النبية دبورة، الذي حفظ إلينا كاملاً، وقصيدة رثاء جوناثان، ومستهل قصيدة رثاء أبنير، وتعود أقدم الأناشيد من بين هذه الأناشيد إلى كتابين، هما: سفر حروب يهوا، الذي أشير إليه في (العدد ٢١ : ١٤، ١٧)، وسفر ياشر (يشوع ١٠ : ١٣)، وهذان السفران يعودان برأي رينان للقرن العاشر ق.م.

ويرى رينان أنه ربما قام كاتب أو اثنين بجمع الحصاد الشعري الثري، الذي نُسج حول الأبطال والجنود الأشداء، وحياة داوود، التي كانت مليئة بالمغامرات، ذلك الحصاد الذي استمر ثلاثة أو أربع قرون، من الاقتراب الأول من عمون مع مغادرة الصحراء، وحتى اقتراب وفاة داوود.

ويذكر رينان أن سفري ياشر، وحروب يهوا، كانا المصدرين اللذين زودا مؤلفي التوراة القدامى بالمادة التاريخية، ولهذا نجد عناصر متناثرة من هذين الكتابين في الأجزاء اليهوية من سفر العدد، وفي سفر يشوع، كما شكلت جوهر سفر القضاة، وأحداث أسفار صموئيل[1].

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE..., ٢\٤٥٢ – ٤٥٤ .

وهذا المُؤلَّف كسابقه لا يعكس أي سمة دينية، حيث أن التسويغات الدينية لم تكن سائدة في تلك الفترة، ويدلل رينان على ذلك من خلال استقرائه لفترة القضاة، حيث خلا هذا العصر من الحديث عن أي شريعة، حيث كانت العبارة التي تتردد كثيرًا في تلك الفترة «كل واحد عمل ما حسن في عينيه» سفر القضاة ٢١ :٢٥.

يقول رينان: «وبناء على هذا فإن التاريخ العبري -على النحو الذي وصل به إلينا- ينطوي في ذاته على ما ينقضه، فمن ناحية يؤكد هذا التاريخ على أن موسى قد مُنح الشريعة قبل دخول كنعان، وفي نفس الوقت يروي لنا قصصًا لاحقة على دخول كنعان، والتي تفترض بوضوح تام عدم وجود هذه الشريعة»(١).

ومن ثم فإن هذا الكتاب لم يكن كتابًا كهنوتيًا، وإنما كان كتابًا قوميًّا، فقد كانت هذه الروايات التاريخية بطولية وشعبية، قبل أن تكون مقدسة، وسيتم لاحقًا استبدال السمة الدينية، بالسمة اللادينية (المدنية)، فلم يُقصد من وراء كتابة هذه المؤلفات البدائية، إلا تدوين الذكريات المثيرة ذات القيمة(٢).

وخلاصة القول، أن ذكريات عصر الآباء الأسطورية، وذكريات الخروج ودخول كنعان، وعصر القضاة، ونشأة الملكية قد استقرت منذ أكثر من تسعمائة عام ق.م في مُؤلَّفين أُلِّفا في الشمال، ربما على يد شخص من مدن إفرايم القديمة.

أيضًا:

RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE , ٢\٤٦٠.

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , ٢\٤٥٥.

والحقيقة أن غياب السمة الدينية عن أحداث سفر القضاة يعكس تفريط بني إسرائيل في شريعة موسى واتجاههم لعبادة آلهة الكنعانيين، إلا أن هذا ليس بالضرورة دليلاً على عدم وجود الشريعة قبل فترة القضاة مع موسى كما يزعم رينان، خاصةً وإنه يرد في السفر عبارات تشير إلى بعض الوصايا الشريعة والأخلاقية مثل: (قضاة ١٣ : ٣ – ٥) «فتراءى ملاك الرب للمرأة، وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي، ولكنك تحبلين وتلدين ابنًا، والآن فاحذري ولا تشربي خمرًا ولا مسكرًا، ولا تأكلي شيئًا نجسًا، فها إنك تحبلين وتلدين ابنًا، ولا يعل موسى رأسه، لأن الصبي يكون نذيرًا لله من البطن».

(٢)RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , ٢\٤٦٠ .

إحداهما تحكي عن التاريخ الأسطوري للإنسانية الأولى، ثم التاريخ الأسطوري لأبراهام و إسحق ويعقوب ويوسف، والتي شكلت نواة سفر التكوين، والأخرى تتكون من سفر ياشر وحروب يهوا، والتي تمثل ملحمة تلك الأمة، والتي كونت نواة الأسفار السداسية، وأسفار صموئيل[1].

دور أنبياء الشمال في إضفاء صفة القداسة على كتابيَّ أساطير الآباء والملاحم لشعبية:

تشكلت حركة نبوية في مملكة الشمال، لمواجهة الانحرافات الدينية، وعبادة الآلهة الأجنبية، وذلك في عهد آخاب بن عُمري (٨٦٩ – ٨٥٠ ق.م)، ولاقت اضطهادًا واضحًا من جانب هذا الأخير، إلا أن هذه الحركة انتصرت انتصارًا واضحًا في عهد يهوشافاط (٨٦٠ق.م)[2].

ويعد كلاً من إيليا وإليشع أعظم ممثلي هذه الحركة النبوية «فقد وجه هذان النبيان جهودهما ضد عبادة البعل وغيره من الآلهة المعروفة في المنطقة وعادا بالإسرائيليين إلى عبادة الإله الواحد»[3].

ويرى رينان أن هذه الحركة النبوية، هي التي عادت بالديانة الإسرائيلية إلى ألوهيمية عصر الآباء، بعد تاريخ طويل من الأخطاء و الخرافات، ووحد هؤلاء بين كلٍ من إلوهيم، ويهوا، وأصبح يهوا، بعد أن كان الإله القومي لبني إسرائيل، إلهًا عالميًّا، الإله الواحد.

وينسب رينان تطور الديانة الإسرائيلية نحو التوحيد الخالص إلى هؤلاء الأنبياء، بل ويشير إلى أنهم هم من أنتجوا التوراة، وأسسوا الشريعة الدينية [4]، وتتسم تلك

---

(١) انظر :

RENAN ,HISTOIRE DE PEUPLE..., OP.CIT , ٢\٤٦١.

(٢) انظر:

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ...,٢\٥١٧ .

(٣) د.محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

(٤) انظر :

RENAN ,HISTOIRE...,OP.CIT , P٤٨١ – ٤٨٣ .

الحركة بسمتين أساسيتين:

١ - الميل الواضح لحياة الآباء، والنفور من حياة الترف والمدنية.

٢ - اليهوية المتشددة، والثيوقراطية المطلقة، والدعوة المتقدة إلى أن الإنسان ليس له إلا إله واحد هو الله، وهي المعتقدات التي كان من الصعب أن تجد لها مكانًا، في أورشليم حيث سيطر الملك الداوودي باقتدار على المظاهر الدينية(١).

وقد توافر لدى مدرسة الأنبياء في المملكة الشمالية -في تلك الأثناء- كتابي أساطير الآباء، والملاحم الشعبية.

وكان الدور الرئيسي الذي لعبه هؤلاء الأنبياء هو إسباغ تلك المؤلفات بالصبغة الدينية والأخلاقية، حيث آمن هؤلاء بأن يهوا يفرض على عبيده المخلصين له تعاليم محددة وشرائع، وهنا تشكل نموذج تشريعي صغير كان بمثابة العهد الذي وقع بين الإله وشعبه.

وقد تكونت هذه التشريعات من مجموعة بنود متنوعة من قوانيين عُرفية متفاوتة في القدم، ومن مجموعة تنظيمات شعائرية أو كهنوتية، ومن عدة قوانيين أخلاقية، نشأت عن الاتجاه الإنساني، الذي أنتجته المدارس النبوية، واعُتبر موسى المُشرع العالمي لهذه التشريعات، التي أُفتِرض أن يهوا أوحى بها إليه(٢).

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , P٤٨٤ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., ٢\٥١٨ - ٥١٩ .

وكما هو واضح، فإن رينان يقوم بقلب المسار المعروف لوجود التوراة، رأسًا على عقب، فبدلًا من أن يكون أنبياء الشمال متمثلين لشريعة موسى -عليه السلام- ومذكرين بها، فإنهم -مع رينان- مؤلفو هذه الشريعة وناسبوها لموسى، وكان هذا استمرارًا في الاتجاه النقدي التطوري الذي استهله فاتكي والذي حاول فيه تطبيق النظرة التطورية -متأثرًا بفلسفة هيجل التاريخية- على تاريخ الديانة الإسرائيلية، وهو نفس الطريق الذي سارت فيه أبحاث فلهاوزن، إلا أن هناك بعض النقاد مثل جريتس رفضوا هذا التوجه، واعتبروا التشابه بين بعض أسفار الأنبياء والتشريعات في الأسفار الخمسة دليلاً على تمثلهم لشريعة موسى، معرفتهم بها، وقد نشط في هذا الاتجاه من بين دارسي العهد القديم دافيد هوفمان الذي نشر في «معجم علم اليهودية» مقالات ضد الرأي إلي تشكل على نحوٍ

ب - مُؤلَّف مملكة الشمال (المصدر اليهوي):

يعد مُؤلَّف مملكة الشمال الأسبق تاريخيًا، والأكثر أصالةً، من نظيره الجنوبي[1]، وذلك نظرًا لتوافر المسودة الأولية، لكتاب روايات الآباء، والتاريخ القومي الملحمي لديهم.

ولقد استعان المُؤَّلف اليهوي بهاتين الكتابتين لصياغة مؤلفه الخاص، والذي أرفق في نهايته الجانب التشريعي، ممثلاً في سفر العهد، المنسوب لموسى -عليه السلام-، والمتضمن للعهد الأول بين يهوا وشعبه، أثناء تجليه على جبل سيناء.

وقد صادف المؤلف اليهوي صعوبة شديدة أثناء جمعه بين المصادر القديمة، وبين المصادر المزامنة لعصره، خاصة حينما تتعارض التقاليد بعضها مع بعض، حيث اضطر إلى وضع الروايات المتعارضة في سياق واحد على نحوٍ متجاور، الأمر الذي أدى إلى إنتاج نص متضارب ومشوه، فعلى سبيل المثال: في رواية جنة عدن، نجد أن الشجرة التي في وسط الجنة، هي شجرة الحياة أحيانًا، وشجرة معرفة الخير والشر، أحيانًا أخرى، واضطر المؤلف حتى لا يستبعد إحدى الروايتين، أن يجعل كلا الشجرتين في وسط الجنة (تكوين ٢ : ٩)، وعبر سياق الرواية، تناوب ظهور الشجرتين في وسط الجنة بالتبادل (تكوين ٣ : ٦،٥، ٢٢).

وعلى نفس المنوال نجد هذا التضارب والتشوش في: قصة إسماعيل (تكوين ١٦ : ١- ١٤)، وقصة رحلة خادم إبراهيم (تكوين ٢٤ ماعدا ٦٤)، ومغامرة إبراهيم مع

واضح مع فلهاوزن، والذي تبناه رينان أيضًا، أن سفر حزقيال سابق على سفر اللاويين، وقد حاول مع المحافظين في الكنائس، والمعتدلين من الباحثين مثل دالمان وبردنكمف وغيرهما في محاولة تقويض أسس النظرية التي تؤخر توراة الكهنة إلى عصر العودة من بابل، وتحرف ترتيب الأسفار داخل التوراة . انظر: تاريخ نقد العهد القديم، زالمان شازار، ص ١٩٨ - ١٩٩.

(١) انظر :

RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE , ٢\ ٢٤٦ - ٢٤٧ .

ويختلف رينان مع الرأي السائد لدى النقاد الألمان، والتي استقرت مع جراف وفلهاوزن، في جعله المصدر اليهوي شمالي من مملكة إسرائيل، بينما يجعله الألمان جنوبيًّا من مملكة يهودا. انظر:

G.W.ANDERSON , A CRITICAL INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT , p ٣٠ - P ٣٣.

فرعون (تكوين ١٢)، وشبيهتها مغامرة إسحق مع أبيمالك (تكوين ٢٥ : ٢٩ وما يليه)، ولذا فهو أحيانًا يقدم تبريرًا لكيفية تكرار حادثة ما مثل حفر البئر، والتي تعزوها إحدى الروايات لإبراهيم وتعزوها أخرى لإسحق، ولهذا فهو يبرر بأن هذه الآبار حفرها إبراهيم ثم طمسها الفلسطينيون ثم أعاد حفرها إسحاق (تكوين ٢٦ : ١٨ وما يليها)[١].

وفي معظم الأحيان التي لا يفهم فيها المؤلف اليهوي مصادره جيدًا، فإنه يلجأ إلى التحريف والشرح بطريقة خاطئة، والتاريخ المقدس الذي خطته ريشة المؤلف اليهوي سيصل إلينا مبتسرًا، حيث سيقوم أحد موفقي المصادر بجمع تاريخ الشمال المقدس، مع كتاب مناظر له، أنتجته مدارس القدس، وخلال عملية التقميش هذه، سيتم حذف صفحات كاملة من كلا الكتابتين، الشمالية والجنوبية؛ تجنبًا لاستخدام الروايتين في النص، أو لأن التعارض بينهما واضح جدًّا.

ولهذا فإن مقدمة الرواية اليهوية الإسرائيلية، المتعلقة بالخلق الأول للكون، مختصرة جدًّا حيث استبدلها المحرر بمقدمة النص الأورشليمي المناظر لها، وتتسم الرواية اليهوية بسمة تشاؤمية، خاصة قصة الإنسان الأول، وعلاقة قايين بهابيل، وتعكس ميل المؤلف لرؤية الخطيئة في كل شيء، فالعالم سيء يتجه بنفسه نحو الشر والفساد، لدرجة أن الرب ندم على خلقه للإنسان، وقرر إفناءه.

ويعتبر رينان أن شخصية نوح كما هي في المسودة الأولية (كتاب أساطير الآباء) هو زارع العنب وشارب الخمر، وأن المؤلف اليهوي، هو من جعل من نوح إنسانًا عادلًا، ومنقذًا للإنسانية!![٢].

أما بالنسبة لقصة الطوفان، فقد وصلت إلينا كما كتبها المؤلف اليهوي بكاملها، في رواية متكاملة واضحة، والتي تنتهي بالعبارة «وخرج نوح من الفلك، و بنى مذبحًا للرب».

---

(١) انظر:

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE.., OP.CIT , ٢\٥٢٣ – ٥٢٥ .

(٢) وهو تصور انتقائي متعسف وغير مبرر من جانب رينان وليس عليه دليل منطقي أو تاريخي.

أما بالنسبة لقصص أبراهام وإسحق ويعقوب ويوسف، فإنها قصص إسرائيلية بالأساس، تشكلت كلها في الشمال واقتفى فيها المؤلف اليهوي أثر كتاب الأساطير، واكتسب أبراهام معه سمة دينية خالصة، وأصبح أبراهام محور اليهوية، ومؤسس عبادة يهوا، وشكلت دعوته، والوعود التي وعدها إياها يهوا الموضوع الرئيسي في الرواية.

و لم يكن لديه تلك الاهتمامات العرقية، التي نجدها لدى المؤلف الأورشليمي، وأسس المؤلف اليهوي بهذا، الإطار العام لكل التطورات اللاحقة، وقد كان لديه منذ البداية الأسس الأولية لقصص السبي في مصر. والخروج، وربط المؤلف عيد الفصح تاريخيًّا بالخروج من مصر.

وكان ابتكاره الكبير هو إدراج شريعة صغيرة، في كتاب التاريخ المقدس، وحينما وصل المؤلف إلى الجزئية المتعلقة بالمعارك، التي خاضها بني إسرائيل عند اقترابهم من فلسطين، وجد الكاتب وثيقة تاريخية حقيقية: هي سفر حروب يهوا وسفر إيشار، والتي جاء منها الدور البطولي لكالب، والأناشيد المتعلقة ببئر الماء، وسقوط حشبون، وحكاية بلعام، وربما بركات موسى[1].

- سفر العهد:

كما أشرت يرى رينان أن المؤلف اليهوي أضاف جانب تشريعي إلى مؤلفه، يتمثل في سفر العهد، وهو يمتد -برأي رينان- من الفقرة **٢٣** من الإصحاح **٢٠**، وحتى الفقرة **١٩** من الإصحاح **٢٣** من سفر الخروج، ورينان يرفض أن تكون هذه الوصايا الشرعية قد أُوحي بها إلى موسى، ويقول: «إنه من الخطأ أن نتخيل أن هذه النصوص اكتسبت قيمة شرعية منذ البداية»[2].

ويرى «أن فكرة الله المشرع فكرة شائعة لدى كل القدماء، فلم تستطع البشرية - حينئذٍ- أن تتخيل قانونًا أخلاقيًّا دون أن يكون مفروضًا من الوجود الأعلى (الله)،

---

(١) انظر :

RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE , OP.CIT , P٢٥٠ .

(٢) RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , ٢\٤٤٥ .

ولذلك اعتبرت الصوت الصادر من وعيها الذاتي صوتًا صادرًا من السماء»[1].

وعلى هذا فالحركة الدينية العميقة في مملكة إسرائيل انتهت -في القرن التاسع ق.م- إلى التأكيد على أن يهوا هو الله العادل الذي يرغب في الخير ويطلب من الإنسان أن يسير وفقًا لمبادئ الحق المطلقة، والنتيجة الحتمية اللازمة لهذا التصور هو افتراض وجود شرع موحى به من يهوا معبر عن إرادته.

وقد أدخل المؤلف اليهوي تشريعًا يلخص وصايا يهوا أثناء تجهيزه للتاريخ المقدس، وافترض أن موسى هو من تلقى هذه الوصايا الإلهية والمشرع الرائع.

وقد أمد هذا الكتاب التوراة بالمخطط الأولي للتطورات التشريعية اللاحقة، ولم يقم مؤلف المصدر التثنوي إلا بمحاكاته، فيما يتعلق بالتشريعات الناتجة عن العمل الديني، الذي صاحب وتلي إصلاح المعبد، وتجديد أورشليم، فهو لم يفعل شيئًا إلا أنه نسخه وعلق عليه.

وهذه التوراة الأولية البسيطة، التي انطوت على مبادئ حضارية، تؤكد على أن يهوا، هو الإله الواحد لإسرائيل، وأن من يعرض القرابيين، لإله غيره سيفنى، فإن يهوا عادل ورحيم، حافظ الضعيف، يسعد بالطيب، ويعاقب الظالم، والقاسي. وأساس العهد بين يهوا و إسرائيل أخلاقي تمامًا، فهم شعب الله، الذين سيقدمون للعالم الدين الصحيح.

وقد اهتم المؤلف اليهوي في هذه الشريعة -على وجه الخصوص- بالفقراء والضعفاء، وفسر تقديس يوم السبت بأنه مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية بالضعفاء، لذلك فهو يريد أن يتوقف الرق في اليوم السابع من السنة، اليوم الذي خلقت فيه الأرض.

ويُعد «كتاب العهد» أصل كل التشريعات العبرية التي ستعقبه، وإن لم يكن كالوصايا العشر، الذي كان قانونًا أخلاقيًّا للإنسانية كلها، فقد تميز بكونه شديد الخصوصية للمملكة الشمالية[2].

---

(١) RENAN , HISTOIRE ..,OP.CIT , ٢\٥٣٦ .

(٢) انظر :

- من هو مؤلف المصدر اليهوي؟

يصف رينان المؤلف اليهوي بأنه أحد الكتاب المتميزين، وأنه كان مفكرًا متشائمًا ومتدينًا، كبعض الفلاسفة الألمان يميل إلى تفسير كل شيء بالوحدة ثم الانقسام والتشتت، الذي غالبًا ما يكون عقابًا، مثل قصة برج بابل، وهو مجسم ويميل إلى الأسطورة، ورغم ذلك فإن العقيدة الدينية متطورة معه للغاية.

ويرى رينان أن اليهوي كسائر أنبياء الشمال، يكِنُّ كراهية ما للحضارة المدنية، فكل تقدم هو في عيون المؤلف اليهوي جريمة لابد وأن يتبعها حتمًا عقاب سريع، وهذا العقاب هو انقسام الإنسانية، حيث كانت تجربة الثقافة المدنية الدنيوية الهائلة في بابل جريمة فظيعة، وتجرؤ على يهوا (تكوين ١١ : ١- ٩)[١].

ويرى رينان أن فكرة الخطيئة الأولى من اختراع المؤلف اليهوي، فالشر بالنسبة له هو طريق كل الجنس البشري، وكل التقدم الإنساني، ما هو إلا خطيئة، والإنسانية تسير في طريق الخطيئة دائمًا، والتورط في الخطيئة عن جهل تساوي ارتكاب الخطيئة، مصحوبة بإرادة مسبقة. (تكوين ٢٠ : ٧، تكوين ٢٦ : ١٠).

ومن ثم فإن المؤلف اليهوي ينحو نحو تفسير التاريخ الإنساني بأكمله، بناء على ميل الإنسان ونزوعه نحو الشر والفساد الملازمين للطبيعة (تكوين ٢، ٣، ٢٩:٥، ٨ : ٢١ – ٢٢، ٥ :٢٩)، ويذهب رينان أن تلك الأفكار هي أساس مسيحية بولس.

وقد صاغ المؤلف اليهوي خطة الخلاص من الخطيئة، وتحقيق السلام في العالم من خلال اصطفاء إسرائيل والوعود التي أعطيت لإبراهيم، والتي وجدت في المسيحية نقطة البدء لها، حيث سيتم التأكيد على أن يسوع هو الذي خرج من إسرائيل ليحقق البرنامج الإلهي، ويجهز لإزالة الشر الذي نجم عن الخطيئة الأولى لآدم[٢].

وعبر السمات السابقة للمؤلف اليهوي، وللرواية اليهوية، يحاول رينان تحديد

RENAN , HISTOIRE ..,OP.CIT , ٢\٥٣٧ .

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , ٢\٥٣٢ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , P ٥٢٢٢ , ٥٢٣ .

شخصيته، فيقول عنه: «لقد كان المؤلف اليهوي نبيًّا بالتأكيد، ويمكننا أن نقول عنه: (المنظر العقدي للحركة النبوية Doctrinaire du prophetism) حيث فسر ولخص ما قام باقي الأنبياء بتطبيقه»(١).

ويستنتج رينان من مقارنته بين الرواية اليهوية في التوراة، والمعطيات القديمة بشأن إيليا، «أن المؤلف اليهوي قد خرج من مدرسة إيليا، وألف كتابه حوالي ٨٥٠ ق.م، في عهد الملك ياهوشافاط»(٢).

جـ - مُؤلَّف مملكة يهودا (المصدر الإلوهيمي):

في مقابل المؤلف اليهوي -الذي كُتِب في المملكة الشمالية- ظهر مؤلف موازٍ له في مدينة القدس، عاصمة المملكة الجنوبية، وذلك خلال الفترة مابين ٧٧٥ و ٧٥٠ ق.م، والسبب في تأخر هذا العمل عن نظيره الشمالي -فيما يرى رينان- أن الحركة الدينية في الجنوب كانت أهدأ منها في الشمال، بالإضافة إلى أن الشعور بالحاجة إلى جمع التقاليد الموروثة كان أقل.

كما لم يتوافر لديهم المصادر الأولية للتراث، كـ «كتاب أساطير الآباء»، و «حروب يهوا»، إلا أن هذا لا يمنع أنه كان هناك تراث مشترك لدى الجانبين، وأن يهودا انفردت بامتلاك عدد كبير من الوثائق التي تعود إلى عصر داوود وسليمان، والتي لم تكن لدى

---

(١) RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., ٢\٥٣٤ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , P ٥٣٤ .

ويشير رينان إلى أن التشابه بين عناصر معينة في روايات النبي إيليا وبعض الروايات الخاصة بموسى في التوراة، يعضد فرضيته، بأن روايات إيليا هي أساس الروايات المنسوبة لموسى، ويقارن على وجه الخصوص بين: فكرة قربان موسى (الخروج ٢٤ : ٤ - ٨)، مع مثيلتها عند إيليا (الملوك الأول ١٨ : ٣١ ومايليه)، وتجلي الرب لموسى (الخروج ٣٣ : ١٧ - ٢٣)، وتجليه لإيليا (الملوك الأول ١٩ : ١١ - ١٨). ويتفق رينان مع فلهاوزن حول التأريخ للمصدر اليهوي في القرن التاسع قبل الميلاد. انظر : AULIKKI NAHKOTA , Double narratives in the Old Testament : the foundations of method in biblical criticism, NEW YORK , WALTEERE DE GRUYTER ,٢٠٠١.P ١٤ .

إلا أنهما يختلفان كما تقدم حول مكان المصدر اليهوي.

مملكة إسرائيل الشمالية[1].

يذكر رينان أن الكتاب الأورشليمي كان أقصر من نظيره الشمالي، وغلبت عليه البساطة، وانخفضت فيه حدة الميثولوجية، حيث نفتقد فيه ذلك الحشد الهائل من الأساطير التي اعتمد فيها المؤلف اليهوي على «كتاب الأساطير».

كما انخفضت فيه السمة التجسيدية (الأنثروبرومورفية) في وصف الإله، فقد تجنب المؤلف الإلوهيمي تشويه الذات الإلهية، بأن ينسب إليها الأهواء التي يخضع لها البشر، كما تجنب أن يصف الله باسم يهوا، «فلم يعد هناك ذلك الاتصال المباشر للإله مع الإنسان، بل إن رسائله تصل عبر الرؤى، والملائكة، كما أن أحكامه عبر التاريخ أصبحت تتسم بالسمة الأخلاقية» (تكوين ١٥ : ١٦)[2].

ولقد تناول المؤلف الإلوهيمي، نفس الموضوعات التي تناولها المؤلف اليهوي، إلا أنه عالجها بعقليته الخاصة مستخدمًا قوائم الأنساب التي كانت بحوزته.

وقد جعل المؤلف الأورشليمي الهدف الديني نصب عينيه؛ لذا نجده يربط السبت بالخلق، والدم بالطوفان، والختان بالعهد بين الله وإبراهيم، والفصح بالخروج من مصر، ورغم هذا فقد خلا المُؤلَّف -في صورته الأولية التي نتحدث عنها الآن- من النواحي التشريعية.

وافتقد المؤلف الإلوهيمي الروح الشعرية و الخيالية، التي اتسمت بها الرواية اليهوية، وكان مغرمًا بالإحصاء و التسلسل الزمني، واستخدم عددًا قليلاً من

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ...,٢\٥٤٧ .

ويختلف رينان مع المدرسة الألمانية في نقد العهد القديم، في اعتباره المصدر الإلوهيمي، يعود إلى القدس، حيث أن الألمان يرجعون الإلوهيمي إلى مملكة إسرائيل في الشمال .انظر:

G.W.ANDERSON , A CRITICAL INTRODUCTION TO THE OLD TESTAMENT ,P ٣٧ .

(٢) انظر :

RENAN , LES ORIGINES DE LA BIBLE ,٢\٢٥٣ – ٢٥٤ .

وانظر:

G.W.ANDERSON , A CRITICAL INTRODUCTION ..., IBID , P٣٦ .

الكلمات، وكل هذا يعكس حالة عقلية أكثر إيجابية، وأكثر بعدًا عن الأحلام الأسطورية، حيث يقدم لاهوتًا بسيطًا أكثر صرامة و توحيدًا، **ويبدو أن المؤلف كان أحد كهنة معبد القدس، وكان يملك تحت يديه الكتابات التي حفظت في الأرشيفات منذ عصر الملك داوود**[1].

وتتشابه روايات المصدر الإلوهيمي في مخططها العام مع المصدر الشمالي، وربما يرجع ذلك إلى تقاسمهما تراثًا مشتركًا، عن قصص الآباء و قصص الخروج من مصر ...الخ، إلا أن كل مصدر أخضع ذلك التراث المشترك لأهدافه وأغراضه الخاصة[2].

ومن أهم الروايات التي تعود للمصدر الإلوهيمي: قصة خلق الكون، التي تبدأ بـ«في البدء خلق الله السماوات والأرض ..»وتنتهي بـ«هذه مبادئ السماوات والأرض حين خلقت»(تكوين ١، ٢ :٤أ)، وقد فضل المؤلِّف النهائي التوطئة الإلوهيمية لقصة الخلق، عن التوطئة اليهوية، حيث وجدها أكثر بساطة وتنزيهًا.

وعلى الرغم من أن الرواية الإلوهيمية لنشأة الكون خفت فيها النزعة الأسطورية، إلا أنها -برأي رينان- كانت أكثر إضرارًا بالتقدم العلمي من النظريات الأسطورية لنشأة الكون في الأساطير اليونانية القديمة، فليس هناك برأيه ما هو أخطر على العلم من نظريات نصفها واقعي ونصفها أسطوري[3].

ويحاول رينان رصد الفروق بين الروايتين -الإلوهيمية واليهوية- في قصة الخلق، فيذهب إلى أن الرواية اليهوية، تؤكد على أن الخلق لم يتم في ستة أيام، وإنما في يوم واحد (تكوين ٢ :٤) يوم عمل الرب الإله الأرض والسماوات «وأن خلق الإنسان حدث في الوقت، الذي كانت فيه الأرض جرداء، فلم يكن هناك لا نبات ولا حياة،

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , P٥٥٥ – ٥٥٧.

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., P٥٥٦

وانظر : ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة ؟، ص ٧٤ .

(٣)انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ...,P ٥٥٢.

وأن خلق الحيوان تم بعد خلق الإنسان، وأن الإنسان خلق ذكرًا مفردًا ثم خلقت منه المرأة ». أما الرواية الإلوهيمية فإنها تجعل خلق الإنسان في عدد غير محدد كالحيوانات، بعضهم ذكر والآخر أنثى، (تكوين ١ : ٢٧ – ٢٨) «فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم الله، وقال لهم: أثمروا وأكثروا ..».

كما تختفي قصة الجنة والسقوط تمامًا في الرواية الأورشيلمية؛ لأن العبارة الأخيرة فيها هي «فأكملت السماوات والأرض ..» (تكوين ٢ :١)، واستكملت في العبارة «هذا كتاب مواليد آدم» (تكوين ٥ : ١).

ويرى رينان أنه إذا كان الراوي الشمالي مؤلف فلسفة الخطيئة، والمسيحية على طريق بولس، فإن هذا الراوي أبدع –ما سماه– بالفيزياء المقدسة[١].

أما بالنسبة لقصة الطوفان فإنها تتشابه في روايتي التاريخ المقدس مع بعضها البعض، ومع النموذج الكلداني، وتختلف الروايتان فقط في النهاية، فالقربان الذي وضعه مؤلف الشمال، في نهاية الطوفان، غير موجود في الرواية الإلوهيمية الجنوبية[٢].

أما بالنسبة لقصص الآباء فقد عالجها المؤلف الإلوهيمي من وجهة نظر جينولوجية (عرقية)، وركز على سلاسل الأنساب، وكان أقل إسهابًا من المؤلف الشمالي في عرض الروايات المتعلقة بموسى، واعتبر التجلي الإلهي في سيناء آخر تعاهد

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE .., P ٥٥١ , ٥٥٢ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , P٥٥٣ .

و استقر النقاد الألمان على تقسيم رواية الطوفان بين المصدرين اليهوي والكهنوتي، والمصدر الكهنوتي يستخدم اسم الإلوهية، إلوهيم –أيضًا– كالمصدر الإلوهيمي، وهناك فروق كثيرة بين الروايتين، أكثر من تلك التي حددها رينان، فالمصدر الكهنوتي يصور زوجًا من كل نوع من أنواع الحيوانات، في حين يصف اليهوي، سبعة أزواج من البهائم الطاهرة، وزوجًا من غير الطاهرة، ويحكي الكهنوتي أن الطوفان استمر عامًا ٣٧٥ يوم، بينما يرى اليهوي أنه استمر أربعين يومًا وليلة، ويذكر الكهنوتي أن نوحًا أرسل غرابًا، بينما في اليهوي أنه أرسل حمامة، والفرق الحقيقي بين الاثنين هو في الطريقة التي يصورون بها الإله، فالمصدر اليهوي يصور الإله على نحو بشري، أما المصدر الكهنوتي فهو يصور الإله كحاكم أعلى للكون. ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة؟، ص ٤٧ – ٥٢ .

بين الله وشعبه المختار، واعتبر الذكرى الخاصة بتلك الأحداث المعجزة هي عيد الفصح، ويبدو أن نشيد عبور البحر الأحمر يعود إلى هذا المصدر. (خروج ١٥)[١].

- الوصايا العشر:

هي النسخة الجنوبية من شريعة موسى، و تتمثل في (الخروج ٢٠ : ١-٧)، وقد تمت إعادة إنتاجها في التثنية ٥، والوصايا العشر وكتاب العهد، كتابات منفصلة تمت دون معرفة كل واحد من كُتَّابها للآخر، وإنما يرجع تشابه معالجة المؤلِّفين لها إلى المضمون العام المشترك الذي استقى منه كلا المؤلفين.

وتتميز الوصايا العشر بأنها تقدم شرائع أكثر نضجًا وتجريدًا (خروج ٢٠ :٢ – ١٧)، وأنها موجهة لكل الأمم، وعهد يهوا هنا مع عباده أخلاقي تمامًا، ومكافآت يهوا هي الأفضل في العالم، وهو يمنحها لمن يسره للإنسان البار الذي يحيا حياة مديدة، ويسعد دائمًا إذا تجنب الشر[٢].

- دمج روايتي التاريخ المقدس (المصدرين اليهوي والإلوهيمي):

وكما رأينا فقد كان لكل مملكة من المملكتين، الشمالية والجنوبية، روايتها الخاصة عن التاريخ القديم لبني إسرائيل، والتي تناولت الفترة الممتدة من لحظة الخلق الأولى، وحتى التقسيم الثيوقراطي للبلاد على يد يشوع بن نون.

وكان المخطط العام لكلا الروايتين عن التاريخ المقدس متشابه، وإن اختلف تناول كل منهما بحسب أهدافه الخاصة[٣].

وقد عرفت الرواية اليهوية طريقها إلى يهودا قبل سقوط السامرة على يد الآشوريين ٧٢٢ق.م، وتمت عملية الدمج على الأرجح في عهد حزقيا (٧١٥ ق.م –

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , P٥٥٤ .

(٢) انظر:

RENAN , HISTOIRE ...,OP.CIT ,P٥٥٩ – ٥٦٠ .

(٣) انظر :

RENAN ,HISTOIRE ...,OP.CIT ,٣\٦٩١ .

٦٨٧ ق.م)، فليس هناك لحظة زمنية -كما يرى رينان- أفضل من هذه كانت فيها حالة البلاد الفكرية تسمح بوجود هذا العمل.

فقد شهد عصر حزقيا إصلاحات دينية وسياسية واسعة، حيث قام بالقضاء على العبادات الوثنية داخل الهيكل في القدس وخارجه، ومنع تقديم القرابين خارج الهيكل، وعمل على تشجيع مركزية العبادة في القدس، أما سياسيًّا فقد قام بالتمرد على آشور، وحاول توسيع حدود المملكة، وضم أجزاء من مملكة إسرائيل السابقة [١].

ومن الناحية الأدبية أيضًا شهد عصر حزقيا نشاطًا عظيمًا، وصلت فيه اللغة العبرية إلى درجة الكمال، كما تواجد عدد كبير من الكتاب، إلى جانب إشعيا ومدرسته، امتازوا بمقدرة لغوية نادرة حافظت على مستوى اللغة، وشكَّل رجال حزقيا كما يسميهم (سفر الأمثال ٢٥)، مدرسة أدبية، انشغلت بتأليف الخلاصات، والمؤلفات، ويعد عصر حزقيا بذلك عصر التأليف والجمع، حيث انتقل في هذه اللحظة الزمنية عدد كبير من كُتَّاب الشمال إلى مملكة يهودا، واتخذوا منها ملاذًا لهم، وجلبوا معهم نصوصًا أدبية جميلة لم تكن معروفة في يهودا إلا نادرًا، وكان لابد من تثبيت كل هذه الأجزاء الهامة في الرواية الشمالية، التي كانت معرضة للضياع، فكان لابد من عملية الدمج[٢].

ويشير رينان إلى أن عملية الدمج تؤكد أن الكتَّاب لم ينظروا في تلك الأثناء إلى الكتب القديمة على أنها مقدسة، فلا يتعامل أحد مع نصوص يعتبرها موحى بها، على هذا النحو من التحرر الشديد.

- **كيف تمت عملية الدمج؟**

اتبع المُوحِّد"UNIFICTEUR" -أي الذي قام بدمج الروايتين سويًّا في رواية

---

(١) انظر : ريتشارد فريدمان، من كتب التوراة؟، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE E PEUPLE ..., ٣\٦٩٤

وانظر أيضًا :

BARRY L.BANDSTRA , READING THE OLD TESTAMENT :AN INTRODUCTION TO THE HEBREW BIBLE, BELOMNT , WADS WORTH \CENGAGE LEARNING ,٢٠٠٩. P ٢٥ .

واحدة- مجموعة من القواعد أثناء إجراءه لهذه العملية:

١ – حينما تكون الروايتان متطابقتين أو متقاربتين، فإنه يثبت إحداهما، ويُضحي بالأخرى على الرغم مما قد تحتويه هذه الرواية من تفاصيل.

٢- وحينما تتوازى الروايتان دون أن تتطابقا كليًّا مثل رواية الطوفان وقصة إسماعيل وحكاية دينة، فإنه يقوم بدمج الروايتين سويًّا مخاطرًا بإنتاج نص (متنافر) غير متسق مليء بالاختلافات والحشو الزائد.

٣- وفي حالة التعارض الظاهري بين الروايتين، فإنه يقوم بالتضحية بإحدى الروايتين كليًّا، أما إذا أتاحت الظروف الجمع بينهما فإنه يجعل القصتين قصة واحدة.

والطريقة التي اتبعها الموحد هي نفسها لدى معظم المقمشين الشرقيين، فهو في أغلب الأحيان لا يغير مطلقًا من كلمات النص الذي ينسخه، فهو يحرص على الانتفاع بكل المقاطع، وألا يفقد إلا أقل القليل من المصادر، فإن راوي الكتاب المقدس لا يترك خيارًا مفتوحًا بين أمرين مختلفين، ولكنه غالبًا ما يجاورهما بجانب بعضهما البعض دون أن يستبعد التفاصيل التي تعارض بعضها البعض، والمحصلة أن هذه الروايات لا تكون مفهومة إلا إذا نسخت في عمودين متوازيين.

والتاريخ المقدس الذي نشأ عن تلك القصاصات التي تم تلفيقها جنبًا إلى جنب، كان كتابًا مقمشًا متنافرًا وغير متناسق.

ولم يكن دور المُوحد مقتصرًا على دمج النصين فقط، وإنما كانت مهمته أعقد من ذلك، فكان لابد وأن يكون واعيًا وعيًا تامًا بأن يقوم بشطب بعض الروايات اليهوية الأقدم، وأن يراعي استنساخ كل ما هو مثير في روايته.

وشكل هذا الكتاب الذي كان خلاصة عملية الدمج تلك حوالي نصف التوراة السداسية الموجودة حاليًا، فقد كان ينقصه التثنية، وكل تشريعات اللاويين، وعدة روايات عن حياة موسى التي كانت تكرارًا لروايات تبناها المؤلف من قبل، وقد احتفظ الموحد فيما يتعلق بأصل الإنسانية بالهيكل العام للرواية الإلوهيمية، مقدمًا إليها بمقتطفات من الرواية اليهوية.

ويمثل «كتاب العهد» بأكمله و«الوصايا العشر»، كما في سفر الخروج، الجانب

التشريعي في النص الموحد.

وتوقفت الروايتان عند معارك يشوع عند فلسطين وتقسيم الأراضي بين القبائل، وليس من المستبعد أن تكون بعض الوصايا التي يقدم لها بهذه الصيغة «وقال الله لموسى»، والتي هي الآن جزء من صيغة الوصايا اللاوية، كانت موجودة في هذا الكتاب، فمن المحتمل أن يكون المعبد، كان لديه تشريعات مكتوبة منذ وقت مبكر جدًّا.

وقد انتهى هذا الكتاب في عصر حزقيا بترتيلة دينية منسوبة إلى موسى، وهي تشكل الآن الإصحاح **٣٢** من سفر التثنية، والفكرة الرئيسية التي تدور حولها هي أن سعادة أو تعاسة إسرائيل ستكون مرهونة دائمًا بإخلاصها لشريعة يهوا .

وهكذا، فقد ورثت يهودا تاريخ ووثائق مملكة إسرائيل، وقبلت الصفحات الجميلة التي كتبتها قبائل الشمال، وقاموا بدمجها مع كتاباتهم الخاصة، ناسبين إلى الشمال العقوق، والجحود (الملوك الثاني **١٧ : ٧- ٢٣**) «وكان أن بني إسرائيل أخطئوا إلى الرب إلههم، الذي أصعدهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر ..»[١].

د- المصدر التثنوي:

«يعد سفر التثنية بمثابة الأقوال الأخيرة لموسى قبل وفاته في صحراء مؤاب أمام أرض الميعاد، المكان الذي وصل إليه بنو إسرائيل بعد أربعين سنة من التيه في الصحراء، ويُلخص فيه موسى أحداث الأربعين سنة التي رافقوه فيها وهو يعطيهم مجموعة القوانين، التي يجب اتباعها في الأرض الجديدة، كما يعين يشوع وريثًا له ثم يصعد على جبل نبو، وينظر إلى الأرض ويموت هناك»[٢].

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE E PEUPLE ..., ٣\٦٩٤ – ٧٠٠٠, ٨٩٥.

(٢) انظر : فريدمان، من كتب التوراة؟، ص **٩٢** .

وقد دلل النقاد منذ وقتٍ مبكر على أن موسى لم يكتب هذه الشريعة التثنوية؛ لأنه ببساطة مات قبل أن يعبر الأردن (تثنية **٣ : ٢٥ – ٢٨**) .انظر :

RAYMOND B.DILLARD , AN INTRODUCTION TO THE OLD

وقد توصل النقاد إلى أن التثنية هو ذاته السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في الهيكل، في عهد الملك يوشيا (٦٢٢ ق.م)، وأكد دي فيته (١٨٠٥م) على أن سفر التثنية قد كتب من فترة ليست ببعيدة عن العثور عليه في الهيكل، وأن هذا الاكتشاف المفاجئ كان مجرد تظاهر، فقد كتب هذا السفر من أجل إعطاء شرعية ليوشيا للقيام بإصلاحاته الدينية[١].

فقد لاحظ دي فيته التشابه الكبير بين تشريعات سفر التثنية، وبين الإصلاحات الدينية التي قام بها يوشيا، والإشارات بشأن الشريعة التي وجدت فجأة في عصر يوشيا على يد حلقيا الكاهن (الملوك الثاني ٢٢- ٢٣)، ومن أهم الأفكار المتشابهة بين التشريعات التثنوية وإصلاحات يوشيا، فكرة اختيار مكان موحد للعبادة، والاقتصار في تقديم القرابين على القدس فقط، والقضاء على باقي الأماكن المقدسة (تثنية ١٢ : ٥، ١١، ١٤)، وأقام يوشيا تلك الوصايا حرفيًّا (الملوك الثاني ٢٣ : ٤- ١٥)[٢].

وكانت هذه الاستنتاجات مسلمة أساسية لدى رينان، يقول: «إن الشريعة التي تشكل حاليًا، الجزء المسمى بالتثنية من التوراة السداسية، هو نتاج الحركة الدينية العظيمة التي زخر بها عصر يوشيا»[٣].

فعلى الرغم من وجود «سفر العهد»، الذي كان متضمَّنًا في النسخة اليهوية من التاريخ المقدس، ووجود «الوصايا العشر» في النسخة الألوهيمية الأورشيلمية، والتي اتسمت بالعمومية، واعتُبِرت هي ونظيرتها الشمالية، وحيًا تلقاه موسى في سيناء.

وأيضًا ظهور بعض التشريعات في عهد حزقيا، مثل الترتيبات المتعلقة

TESTAMENT , ZONDERVAN PUBLISHING ,U.S , ١٩٩٤ .P ٩٣ .

(١) انظر:

ROBERT A.ODEN , THE BIBLE WITHOUT THEOLOGY , ILLINOIS UNIVERSITY PRESS ,١٩٩٩, P ١٩ .

(٢) انظر: د.محمد خليفة حسن، د.أحمد هويدي، اتجاهات نقد العهد القديم، ص ٩٨ .

(٣) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., OP.CIT , ٣\٨١٠ .

بالمجذومين، وقائمة الحيوانات الطاهرة والنجسة، إلا أن حزب التقويين في عهد يوشيا، شعروا بالحاجة إلى وجود نص جديد تظهر فيه الوصايا الدينية القديمة بمظهر يتلاءم مع أفكار عصرهم.

ولكن وحي سيناء أو حوريب، اعتُبِر كاملاً ونهائيًّا، ولذلك تم افتراض وحي آخر أكثر شمولًا من الأول، وهو الذي أوحى به يهوا إلى موسى، فيما وراء الأردن في عربات مؤاب، قبل اللحظة الحاسمة لدخول الأرض الموعودة (تثنية ٥ : ٢، ٤ - ٩ : ٨)، والوحي الجديد لم يكن متناقضًا مع القديم، ولكنه كان مُحصلة ومُلخص له[١].

ويذكر رينان أن الأشخاص الذين كانوا على احتكاك واضح بالكتب القديمة، هم من أسهموا في الترتيبات التي نشأ عنها النص الجديد، و كانت هذه الترتيبات هي قصة العثور على كتاب الشريعة، ومن أهم أبطال هذه القصة حلقيا رئيس الكهنة والكاتب شافان، وأحيقام، وابن شافان آخر، والنبية خلدة، وتفصيل أحداثها أنه في أحد أيام السنة الثامنة عشر من عهد يوشيا (الملوك الثاني ٢٢)، ذهب الكاهن شافان ليتفقد العمل في المعبد، ويقابل حلقيا الكاهن العظيم، فقال حلقيا لشافان: لقد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب، وأخبر شافان الملك وقرأ سفر الشريعة أمامه، فمزق الملك ثيابه لمَّا سمع بذلك، وأمرهم بقراءته أمام جميع الشعب. وهكذا تم تبني الشريعة الجديدة (التثنية) كبرنامج لليهوية الإصلاحية في عهد يوشيا[٢].

- **صورة يهوا في المصدر التثنوي:**

تشبه صورة يهوا في التوراة الجديدة، تصور إرميا له، فهو إله السماء والأرض، وكل الكون، وفي نفس الوقت هو إله إسرائيل الخاص.

فقد وعد يهوا إسرائيل بأعلى درجات السعادة الإنسانية، التي تتمثل في امتلاك مدن جميلة وعظيمة، لم يقم بنو إسرائيل ببنائها. (تثنية ٦ : ١٠ وما يليه).

---

(١) انظر:

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., ٣\٧٩٠ - ٧٩٢ .

(٢) انظر:

RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , ٣\٧٩٢ - ٧٩٤ .

وهذه الشريعة الجديدة كانت أسوء عدو لعالمية الديانة، ولذلك نجد أن الطرق التي حاولت بها هذه الشريعة الاحتراس من المساس بالوحدانية شديدة الشراسة، وتتمثل في إبادة غير المؤمنين، وتحريم إقامة علاقات ودية معهم، وتحريم الزواج المختلط (تثنية ٧، ١٣)[١].

*** تشريعات سفر التثنية:**

ويلخص رينان تشريعات التثنية، في الآتي:

١ – تمركز العبادة في القدس:

يشير رينان إلى أن موسى لم يصف القدس في الشريعة الأولى، قبل عبور الأردن، بأنها المكان الأوحد للعبادة، فقد كان هذا التشريع من إبداع مرشدي يوشيا، وتم تدبير الأمر بحيث يبدو، وكأنه يرجع إلى العصر الموسوي، واستخدم مؤلف الشريعة التثنوية هذا التعبير السطحي «المكان الذي يختاره الرب إلهكم من جميع أسباطهم ليضع اسمه ..» (تثنية ١٢ : ٥ – ٧).

٢ – التشريعات الخاصة باللاويين:

كفلت تجديدات يوشيا وضعًا متميزًا للاويين، حيث جعل مؤلف شريعة التثنية اللاوي مرادفًا للكاهن متجاهلاً تمامًا تدرج السلم الكهنوتي، ولم يذكر وظيفة الكاهن الأعلى (تثنية ١٨).

٣ – التشريعات الخاصة بالفقراء:

اهتمت الشريعة التثنوية بتأسيس نظام كفالة للضعفاء على نفقة الأغنياء، كما أظهرت تعاطفًا قويًا تجاه اللاويين الفقراء، وخصصت عدة أحكام تتعلق بالأرملة واليتيم والغريب.(تثنية ٢٤).

٤ – الربا:

لم يقم سفر التثنية إلا بإعادة إنتاج شريعة سفر العهد، المتعلقة بهذا الأمر، فالربا محرم مطلقًا بين الإسرائيليين بعضهم وبعض، ولكنه مسموح به، بل و يتم التشجيع

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE...,OP.CIT .., P٧٩٥ .

عليه، حينما يكون بين الإسرائيلي والغريب (تثنية ١٥).

٥ – تشريعات الرِّق:

مأخوذة بكاملها من سفر العهد (تثنية ١٥ :١٢ –١٨).

٦ – القتل الخطأ:

تم تطوير حكمه وتم التخفيف من الطابع القاسي المميت السابق الذي يقضي بقتل القاتل الغير متعمد (تثنية ١٩ : ١– ١٣).

وينتهي رينان إلى أن شريعة يهوا، التي زعم أنه وجدها حلقيا الكاهن، تعد إحدى المحاولات لحماية الضعفاء، إنها برنامج لما يسميه رينان بالاشتراكية اللاهوتية [١].

• من هو مؤلف سفر التثنية؟

يرشح رينان النبي إرميا، ليكون هو مؤلف سفر الشريعة الذي وجده الكاهن حلقيا، حيث إن هذه التوراة مسكونة بروح إرميا، وهي تعكس أفكاره وطريقته وأسلوبه[٢]، فإنه وفقًا لما ورد في سفر إرميا بدأ النبي عمله في عصر يوشيا، الذي أظهر احترامًا كبيرًا له (إرميا ١ :٢)، كما ذكر في سفر أخبار الأيام، أنه بعد موت يوشيا رثاه إرميا (أخبار الأيام الثاني ٣١ : ٢٥).

وعلى الرغم من أن رواية العثور على سفر الشريعة لا تذكر إرميا، إلا أنها تذكر أحيقام بن شافان، الذي ورد ذكره في سفر إرميا، على أنه أكثر أصدقاء إرميا، حميمية والراعي له (إرميا ٢٦، ٣٦)، ويشير رينان إلى أن التشابه في الأسلوب والصياغة والأفكار بين التثنية وسفر إرميا لا يمكن إنكاره، فإن التوراة التثنوية، هي تحقق كامل للنموذج الفكري، الذي بشر به نبي عناثوث إرميا.

ويمكننا على الأقل أن نؤكد على أن الشريعة الجديدة أُلِّفت في عصر إرميا، وبين

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., ٣\٧٩٩ – ٨٠٤ .

(٢) انظر :

RENAN , HISTOIRE ..., ٣\٨٠٧ .

وقد ولد إرميا حوالي ٦٤٥ق.م، وبدأ نشاطه النبوي عام ٦٢٧ق.م، في عهد السيطرة الآشورية على يهوذا. انظر: د.محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص ٢٤ .

أقرانه، ووفقًا لأفكاره[1].

• **الشكل النهائي لسفر التثنية:**

يفترض رينان أن هذه الشريعة كانت -في البداية- في كتاب منفرد، ثم بدأ التفكير في ضرورة ربطه بتاريخ الآباء وتاريخ موسى، وإذا كان الهدف هو تفعيل هذه الشريعة، فمن الطبيعي أن يتم وضعها، في الجزئية المتعلقة بالتاريخ المقدس على أنها آخر حدث في حياة موسى قبل وفاته فيما وراء الأردن، ولإتمام هذا الأمر كان لابد من ربط الشريعة بنص طويل وُضِع في المقدمة، وكان بمثابة توطئة لهذه الشريعة.

وتشمل هذه المقدمة الإصحاحات الأربعة الأولى حتى الفقرة **٤٣** من الإصحاح الرابع من سفر التثنية الحالي، كما تم إضافة ملحوظات متنوعة في النهاية، وتشمل الإصحاحات **٢٩، ٣٠، ٣١**، وجاوروا هذه الإصحاحات مع نشيد موسى (الإصحاح **٣٢**).

وبالنسبة لصاحب هذه اللمسات الأخيرة، فهناك عدة احتمالات:

- أن يكون مؤلف الشريعة الجديدة نفسه، فالأسلوب واحد في كليهما.
- وربما يكون عائدًا إلى عصر صدقيا.

وعلى كل حال فإنه أحد أبناء مدرسة القدس.

أما بالنسبة للعصر الذي تألف فيه هذا السفر، فإن رينان يتفق مع دي فتيه ومعظم نقاد العهد القديم في أن سفر التثنية قد تألف في نفس العصر الذي اكتشف فيه، وأنه كان التشريع الذي سارت عليه إصلاحات يوشيا، مع الجيل السابق على تدمير القدس على يد البابليين[2].

---

(١) انظر:

RENAN, HISTOIRE ..., OP.CIT, ٣\٨٠٧ – ٨٠٨.

وانظر: فريدمان، من كتب التوراة؟، ص ١٠٩ – ١١١.

(٢) انظر:

RENAN, HISTOIRE DE PEUPLE ..., ٣\٨١٠ – ٨١١.

وقد توصل نقاد العهد القديم بعد رينان إلى وجود علاقة بين المصدر التثنوي والأسفار الستة اللاحقة عليه، يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني، حيث لاحظ مارتن

هـ - المصدر الكهنوتي:

يعد المصدر الكهنوتي أكبر مصدر من مصادر التوراة، حيث أن طوله تقريبًا يُعادل طول المصادر الأخرى، كما يضم هذا المصدر أكبر جزء للتشريعات، حيث تصل إلى ثلاثين إصحاحًا في أسفار الخروج والعدد وكل سفر اللاويين، ولقد سمي هذا المصدر بهذا الاسم؛ نظرًا لسيطرة الاهتمامات الطقوسية والشعائرية عليه[1]، وهو يشمل -تحديدًا- الجزء الأخير من سفر الخروج وسفر اللاويين، وبداية سفر العدد.

وقد تميز هذا المصدر بالحديث عن أمرين بارزين -لا أثر لهما- لا في تشريعات يوشيا، ولا في المصادر السابقة، وهما:

١ - خيمة العهد TABRENCLE[2]، تلك القصة الخرافية، التي اخترعها من يبحثون عن مرجعية وحدة مكان العبادة في القدس، قبل بناء المعبد الثاني.

٢ - مدن اللاويين، التي زُعِم أن يشوع أسسها (يشوع ٢١ : ٤١).

ويشير رينان أن هناك صلة قوية بين التسعة إصحاحات الأخيرة من سفر حزقيال[3]، وبين الأجزاء الكهنوتية واللاوية في التوراة، فإن خيمة الاجتماع

نوت الألماني (١٩٤٣م) أن هناك تشابه كبير في اللغة التي كتب بها سفر التثنية، ولغة أجزاء من الأسفار الستة الأخرى. ومن ثم افترض نوت أن مؤلف سفر التثنية، هو المحرر الأخير لهذه الأسفار، فهو كاتب ومحرر في نفس الوقت، قام بتكوين قصة تاريخية بدأت بموسى، وانتهت بسقوط يهوذا في أيدي البابليين، وكان سفر التثنية لهذا الرجل بمثابة «السفر»، حيث وضعه المؤلف كي يقيم عليه التاريخ الإسرائيلي، ويكون مصير ملوك إسرائيل و يهوذا «الذين فعلوا الخير في عيني الرب» أو «الذين عملوا الشر في عيني الرب»، وفقًا لمدى طاعتهم لقانون سفر التثنية. انظر: فريدمان، من كتب التوراة ؟، ص ٩٢ - ١١٤ .

(١) انظر :

G.W.ANDERSON , A CRITICAL INTRODUCTION ....,P ٤٥ .

(٢) خيمة العهد: خيمة محمولة تستخدم كمكان للعبادة كالهيكل.حملها بنو إسرائيل معهم في تجوالهم في صحراء سيناء، توضع في هذه الخيمة ألواح العهد وتابوت العهد والكروبيم، وقد تم بناؤها من الخشب الفاخر والذهب والنحاس والصوف والكتان المنسوج بالذهب والمغطى بجلود الظباء، والكهنة فقط هم الذين يدخلونه.انظر :

ENCYCLOPEDIA JUDAICA , ١٥\٦٨٠.

(٣) حزقيال: أحد أنبياء السبي وأهمهم على الإطلاق، وقد اهتم بالطقوس والأعمال الكهنوتية، كما كانت له رؤيته الخاصة لتاريخ إسرائيل، جمع بين وظيفتي النبي والكاهن، وصل بابل مع المجموعة

الإسرائيلية في الصحراء -التي يكثر الحديث عنها في المصدر الكهنوتي- تبدو مشابهة تمامًا لمعبد حزقيال، وخريطته التي وضعها لفلسطين، بالإضافة إلى التشابه الكبير في الأسلوب بين سفر اللاويين، وسفر حزقيال.

حيث قام حزقيال بالفصل بين الكهنة واللاويين، حيث جعل الكهنة وحدهم يخدمون يهوا، بينما يخدم اللاويون الكهنة (العدد ٣ : ٥- ٩)، ونظرًا لأن كل المؤسسات الدينية لابد وأن يكون لها جذور في العصر الموسوي، فقد تم تطعيم حياة موسى بأساطير تهدف لإثبات أن أي محاولة من جانب اللاويين لاغتصاب الكهانة هي جريمة تستحق الموت[1].

ومن أهم العناصر المشتركة بين المصدر الكهنوتي، وسفر حزقيال: خيمة العهد، ومدن اللاويين، فبالنسبة لخيمة العهد التي هي نوع من المعبد المحمول، فإن أوصافها تتطابق مع معبد حزقيال (حزقيال ٤٠ – ٤٣)، ويؤكد رينان أن تصور خيمة الاجتماع هذا، يتناقض تناقضًا فاحشًا مع الروايات القديمة المتعلقة بتاريخ موسى. أما مدن اللاويين، فإن رينان يصف حديث التوراة عن أمر موسى ليشوع باختيار ٤٨ مدينة للاويين من بين أراضي القبائل المختلفة، بعد احتلال كنعان، بأنها لا تعدو كونها أوهام وخيالات كهنوتية، فالحقيقة أن المدن التي مُنِحت للاويين في (يشوع ٢١)، والتي أشير إليها، كما أُشير لكثير من المدن الأخرى في تاريخ إسرائيل، لم يتم غزوها في

المسبية عام ٥٩٨ق.م، ومارس نشاطه كنبي وكاهن حتى عام ٥٧١ق.م. انظر: د. محمد خليفة حسن، ظاهرة النبوة الإسرائيلية، ص ٢٦٣ – ٢٦٧ .

(١) ويضرب رينان مثلاً بأسطورة بني قهاث، المنحدرين من نسب لاوي (أخبار الأيام الأول ٦)، والتي ترد في (سفر العدد ١٦)، حيث ابتلعت الأرض قهاث اللاوي حينما طمحت نفسه إلى منافسة هارون على منصب الكهانة. وقارن تعاليم حزقيال بشأن ذلك: (حزقيال ٤٤ : ١٠ – ١٦) «بل اللاويين الذين ابتعدوا عني حين ضل إسرائيل، فضلوا عني وراء أصنامهم، يحملون إثمهم، ويكونون خدامًا في مقدسي، حراس أبواب البيت وخدام البيت ...أما الكهنة اللاويون أبناء صادوق الذين حرسوا حراسة مقدسي حين ضل عني بنو إسرائيل، فهم يتقدمون إلي ليخدموني ..». مع (العدد ٣ : ٥ -٩) «وكلم الرب موسى قائلاً : قدم سبط لاوي وأوقفهم قدام هارون الكاهن و ليخدموه ...». انظر :

RENAN ,HISTOIRE ...,OP.CIT , P ٩٢٢ .

عصر يشوع أصلاً .

وتعود تلك الفقرات -في الحقيقة- إلى عصر السبي البابلي، فبعد العودة من السبي سكن اللاويون، في القرى القريبة من القدس (عزرا ٢ : ٧٠)، ولكن ليس على نحوٍ منظم كالذي ظهر في الإضافات اللاوية، التي أقحمت على النصوص في سفر العدد ويشوع، من جهة أخرى فإن وصية موسى لبني إسرائيل بشأن أراضي اللاويين، والتي ترد في (العدد ٣٥ : ٤- ٥)، تستدعي نظيرتها لدى حزقيال، (حزقيال ٤٨ : ١٣ - ١٥).

ويخلص رينان إلى أنه قريبًا من عصر حزقيال، وتحت تأثيره تم جمع حياة موسى من النصوص القديمة، مع إضافة كل الإضافات الضرورية، التي فرضتها متطلبات عصر حزقيال، وتم صياغة حادثة حول كل أمر تشريعي حتى يمكن تقديمه، على أنه حدث في عصر موسى أو يشوع، وتمركزت الوصايا التشريعية تلك حول حقوق الأسرة الهارونية في منصب الكاهن الأعلى، وكراهية بني قيهاث موظفي المعبد، وظهر في هذا المصدر كل الابتكارات الكهنوتية الحديثة كخيمة الاجتماع، والمركز الهاروني (كبير الكهنة)، والملابس الكهنوتية، والمدن اللاوية.

وتمامًا كما استعار مؤلف التثنية كل التشريعات تقريبًا من سفر العهد، وأعاد إحياءها وطورها، كذلك فعل المشرع الجديد حيث ضمَّن كتابه عددًا لا بأس به من الوصايا السابقة، ويؤكد رينان على أن الكتاب الصغير الذي يشمل الإصحاحات من ١٨ - ٢٦ من سفر اللاويين، ما هو إلا تنظيم لاحق لقانون حزقيال الموجود في (سفر حزقيال ٤٠ - ٤٨)[1].

وقد شهدت تلك التشريعات إضافات تشريعية أخرى بعد العودة من السبي، في فترة بناء المعبد الثاني، ومن أهم هذه التشريعات: الطريقة المعتادة في العقاب بالموت، وإخراجها لحيز التنفيذ، وطقوس الاحتفالات والحج (اللاويين ٢٣)، وأصبحت الأعياد ذات طابع تكفيري، واختلفت عن الأعياد القديمة، التي كانت تتسم

---

(١) انظر:

RENAN , HISTORE ..., OP.CIT ,٣\٩٢٢ - ٩٢٨ .

بالابتهاج[1]، كما احتل صيام التوبة التكفيري مكانة مبالغًا فيها (اللاويين ١٦ : ١ – ٣٤)، وتعود هذه السمة التكفيرية إلى شعور جماعة بني إسرائيل بالندم بعد الخراب والسبي[2].

كما أصبحت شعيرة رماد البقرة الحمراء[3] (العدد ١٩) عقيدة دوجماطيقية، وأصبح السبت والختان ركيزة أساسية في الحياة اليهودية.

وطغت العبادة الظاهرية والإمعان الشديد في الاهتمام بالطقوس والشعائر على حركة الإصلاح في زمن العودة من السبي، وإعادة بناء المعبد، وهو ما ظهر بوضوح في إضافة بعض تلك الطقوس والشعائر على أنها قوانين كهنوتية ولاوية في أسفار اللاويين والعدد والخروج، وهكذا حدد رينان زمن تأليف السفر بالفترة الممتدة بين السبي البابلي والعودة من السبي مباشرة[4].

---

(١) انظر:

RENAN , HISTOIRE ...,٤\١٠٣٣ .

(٢) انظر: فريدمان، من كتب التوراة ؟، ص ١٤٢ .

(٣) البقرة الحمراء: يروي سفر العدد (١٩) أن التوراة أمرت بني إسرائيل أن يجلبوا بقرة حمراء سليمة ويحرقونها وفقًا لتفاصيل الأحكام الواردة، وبعدها يجلبون رمادها ويضعونه في الماء الذي يطلق عليه ماء الخطيئة ثم يطهرون به نجاسة الميت واعتاد اليهود قراءة الفقرات الخاصة بالبقرة في أحد أيام السبت السابقة على عيد الفصح، وذلك احتفالًا بذكرى وصية البقرة الحمراء؛ لأنه يجب التطهر من نجاسة الميت قبل عيد الفصح. د.رشاد الشامي، الرموز الدينية في اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٠م، ٢٥١.

(٤) انظر :

RENAN , HISTOIRE DE PEUPLE ..., ٤\١٠٣٣ – ١٠٣٥ .

وهو الرأي السائد لدى نقاد العهد القديم والذي استقر عليه جراف وفلهاوزن، حيث قام أحد المؤلفين بوضع أفكار حزقيال داخل المصدر الكهنوتي وإضافة بعض التشريعات ذات الطابع التكفيري التي تتلاءم مع فترة العودة من السبي، وعلى هذا يكون المصدر الكهنوتي عائدًا إلى فترة السبي البابلي (٥٨٧ – ٥٣٩ ق.م) و الفترة اللاحقة على السبي مباشرة .(انظر:

Julius wellhausen , prolegomena to the history of ancient Israel ,translated by : j.sutherland black ,Allan menzies , with a preface by prof, W.Robertson Smith , Edinburgh , adam & charles black ,U.K , FIRST PUB. ١٨٨٥, p ٣٢٧ – ٣٣٥ .

انظر :

BARRY L.BANSTRA , READING THE OLD TESTAMENT .., P٢٦ .

ويرفض رينان الرأي الذاهب إلى أن عزرا هو مؤلف الأجزاء الكهنوتية في النص الحالي، فيقول: «ليس هناك ما هو أكثر مجانبة للصواب من أن نعزو مؤلفًا بهذه الأهمية لكاتب بدون موهبة مثل عزرا، وربما كان لعزرا يد في تحرير الإضافات اللاوية والطقوسية الأخيرة فقط»(١).

• **مراحل تطور التشريعات الدينية في التوراة:**

يلخص رينان مراحل تطور التشريعات الدينية التوراتية على النحو التالي:

١ – التشريعات في شكلها القديم سفر العهد.

٢ – ثم في شكلها التثنوي.

٣ – وأخيرًا في شكلها اللاوي أو الكهنوتي(٢).

فعلى سبيل المثال: «قانون مدن الملجأ»، وهو تشريع خاص بالقتل غير المتعمد الشكل الأول: يرد في الخروج ٢١ : ١٣ «فمن ضرب إنسان فمات يُقتل قتلاً، ولكن الذي لم يتعمد بل أوقع الله في يده، فأنا أجعل لك مكانًا يهرب إليه».

أما الشكل الثاني: فيرد في التثنية ١٩ : ٤ وما يليه «وهذا هو حكم القاتل الذي يهرب إلى هناك فيحيا من ضرب صاحبه بغير علم وهو غير مبغض له منذ أمس وما قبله».

أما الشكل الثالث: فيرد في العدد ٣٥ : ١٥ وما يليه «مدن ملجأ تكون لبني إسرائيل وللغريب المستوطن في وسطهم تكون هذه الست مدن للملجأ، لكي يهرب إليها كل من قتل نفسًا سهوًا».

وهكذا فإن هناك ثلاث مراحل للتشريع الديني بين العبريين، يمكننا أن نميز بينهم بوضوح:

١ – العصر الأول: اتسم بعبقرية عظيمة، وعبر عن نفسه في صيغة بسيطة، تُمكِّن

---

(١)RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , ٤\١٠٦٧ .

(٢) بدأ هذا التقسيم مع فاتكي، حينما طبق النظرة التطورية على التشريعات في التوراة، ولذا كان فاتكي أول من أشار إلى أن الأجزاء الكهنوتية تقع في الطور الأخير من تاريخ التوراة أو في فترة السبي البابلي. (انظر:

encyclopedia judaica , ١٦\٨٠

العالم كله من تبنيها، وتتمثل في سفر العهد والوصايا العشر، وهي تعود إلى عصر الأنبياء الأوائل في القرن الثامن ق.م.

٢ – العصر الثاني: طُبع بطابع أخلاقي وبنزعة دينية متزمتة واضحة، وهو عصر إرميا والتثنية.

٣ – العصر الثالث (الكهنوتي): وهي أحلام طوباوية مليئة بالخيالات والمستحيلات[١]، وتعود إلى فترة السبي البابلي وما بعد السبي.

*** الدمج النهائي للتوراة:**

يتصور رينان أنه بعد العودة من السبي، كان هناك عدد كبير من القوانين موجود بشكل عشوائي، فكانت التثنية بالنسبة لغالبية اليهود هي التوراة، وبالنسبة لآخرين كانت التوراة هي ذلك العمل المُجمَّع الذي جمعه حزقيا، واعتُبِر كل واحد من هذه المجموعات التشريعية الصغيرة ملخصًا للوحي الذي تلقاه موسى على جبل سيناء، والواضح أن دمج كل هذه الأجزاء المنفصلة في مادة تشريعية واحدة، قد تم على ما يبدو بعد مرحلة تجديد العبادة والتجديد الأول للعبادة كان مع زروبابل ويشوع بن يوصادق، تم في وقت كانت فيه الحالة الأدبية شديدة الضعف، أما تجديد نحميا و عزرا فكان على العكس من ذلك، من عمل سوفريم (كاتب).

وبالطبع يرفض رينان الفرضية التقليدية الساذجة، التي تذهب إلى أن عزرا قد استرجع من ذاكرته الأسفار التي فقدت من القدس، ويقبل –ولكن بتحفظ شديد– أن يكون عزرا هو المحرر الأخير للتوراة، يقول: «وإذا كان عزرا هو بحق المحرر الأخير لعملية الجمع والتنظيم فلابد وأن ننسب إليه القيام بإدخال التعليقات والشروح التي كانت موجودة على الهامش في البداية، ثم انتقلت إلى داخل النص، واتخذت هيئة فقرات تفسيرية أو تبريرية»[٢].

ويذكر رينان أن من أمثلة تلك الفقرات التي كانت تعليقات وتفسيرات هامشية

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE ...,OP.CIT , ٣\٩٣٣ .

(٢) RENAN , HISTOIRE ..., OP.CIT , ٤\١٠٦٩ .

في البداية ثم دخلت إلى النص، حالات التعداد والإحصاء التي لا يتغير فيها المجموع حين يقوم أحدهم بإضافة عدد أو عددين إلى نهايات الجمع؛ مثل تعداد بني إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر (التكوين ٤٦)[١].

ويحدد رينان تاريخ الترتيبات النهائية للتوراة السداسية حوالي عام ٤٥٠ق.م، بغض النظر عن شخصية عزرا، حيث أن المعلومات بشأنه غير كافية.

«وهكذا تشكل عبر أربعة قرون تقريبًا تركيبة غريبة جدًّا مزيج من العناصر شديدة التنوع والاختلاف، مابين مقتطفات من أدب الملاحم، وبقايا من التاريخ المقدس، وبعض القوانين العرفية، والأناشيد الشعبية القديمة، والحكايات البدوية والطباويات، أو القوانين الدينية المزعومة، وأجزاء نبوية، وقد تغلف كل ذلك بغلاف ديني ورعي، جعل من كومة الآثار اللادينية كتابًا مقدسًا هو روح الشعب»[٢].

وبالنسبة لحادثة إعلان التوراة على يد عزرا الواردة في (نحميا ٨)، فإن رينان يعتبر هذه الرواية ليست بذات قيمة تاريخية كبيرة، مثلها مثل سائر الروايات التي وصلت إلينا من هذا العصر، ولكن منذ ذلك الوقت ستتواجد التوراة ككتاب محدد[٣].

وفي نفس هذا الوقت الذي أنجزت فيه التوراة، تم الانتهاء من جمع مجلد أسفار الأنبياء، وروعي وضع الكتابات الأقل شهرة بعد كتابات كبار الأنبياء المُلهمين مثل إشعيا و إرميا وحزقيال[٤]، وظهر في العصر الفارسي أسفار القضاة وصمويل والملوك على نحوٍ قريب جدًّا من التي بين أيدينا الآن، كما شرع أحد لاويو المعبد في القدس، في

---

(١) انظر :

RENAN , HISTOIRE .., ٤\١٠٧٠ .

ولعلنا نجد في هذا تفسيرًا للأخطاء الحسابية العديدة التي استوقفت ابن حزم فيما مضى.

(٢)RENAN , HISTOIRE ...,OP.CIT ,٤\١٠٧٠ .

ويمكننا أن نقول أن كل تلك المجموعة الحاشدة من الآداب الإنسانية التي كونت التوراة، قد أخفت ورائها الوحي الإلهي الأول، وطمست عليه.

(٣) انظر : . ١٠٧٨ – ١٠٧٠ ,٤\RENAN , HISTOIRE ...,OP.CIT

(٤) انظر : . ١٠٧٢\٤ ,RENAN , HISTOIRE ,OP.CIT

عهد الإمبراطورية الفارسية في عمل تاريخ مقدس جديد هو «سفري أخبار الأيام»، أكمله بالهاجادا النبوية، وبالوثائق التي كانت بحوزته عن زروبابل وعزرا ونحميا، وكان الشغل الشاغل لهذا المؤلف أن ينسب الهيئات الموسيقية والشعائرية، التي تنتمي في الحقيقة للمعبد الثاني إلى عهد داوود وسليمان، وقام على نحوٍ عام بنقل كل ما يتعلق بالمعبد الثاني إلى المعبد الأول، وكان يهدف من وراء ذلك إلى أن يجعل كل المظاهر اللاوية لها سند في الماضي.

ويشير رينان إلى أن عمل هذا المؤلف جاء مليئًا بالأخطاء والتحريفات المتعمدة، التي كان الهدف منها خدمة التعصب الديني، والولع بالنزعة القومية.

ويذكر رينان أن المؤلفات التي تعود لتلك الفترة أتت في زمن انحطاط اللغة العبرية، واتسمت جميعها بالجفاف والجدب(١).

أما المزامير والتي يصفها رينان بأنها الجزء الأجمل والأكثر تأثيرًا في العهد القديم، والتي هي مجموعة من الأناشيد والقصائد القديمة التي أنتجتها قريحة الشعب الإسرائيلي عبر القرون، وتم جمعها في عصر الازدهار الأدبي عصر الملك حزقيا، وتم تأليف مجموعة أخرى في عصر الملك يوشيا، والتي اتسمت بالنزعة الدينية القوية والمتقدة، واتسمت بالسمة العامة للشخصية اليهودية، كما يؤكد رينان، وهي الشكوى الدائمة والنواح المستمر، ومناشدة الإله الخالد، واستجدائه من أجل الاضطهادات التي مورست ضدهم، والتي غالبًا ما تكون من نسج خيالهم(٢).

والمزامير -كما يذكر رينان- لم تغلق أبدًا، ودائمًا كانت مرتعًا للإضافات، وبدأت تبرز كجزء ثالث من الكتاب المقدس العبري خلال العصر الفارسي، وأصبح كل جزء يضاف يوضع عليه اسم داود.

وعلى هذا فإن العهد القديم قريبًا من عام ٤٠٠ ق.م أصبح يتكون من جزأين: التوراة وأسفار الأنبياء، والتي لن يتم من الآن فصاعدًا إضافة أي شيء لها، أما الجزء الخاص بالكتابات فسيظل مفتوحًا دائمًا للجديد لفترة طويلة من الزمن(٣).

---

(١) انظر: RENAN, HISTOIRE ,OP.CIT, ٤\١١٠٨.

(٢) انظر: RENAN, HISTOIRE ,OP.CIT, ٣\٨١٥.

(٣) انظر: RENAN, HISTOIRE ,OP.CIT ١١١٠. ,٤\١١٠٩